Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع بعد المائة

١ يونيو سنة ١٩٤٥ ٢٠ جماد ثاني سنة ١٣٦٤

مجلس الاقتصاد والاجتماع

في الهيئة العالمية الجديدة

بين السلام والرخاء صلة وثيقة. ولكنها ليست صلة مطّردة. فإنْ لم يضمن الأمن، وتطمئنَّ الشعوب إلى سلامتها، ظلَّ الانتعاش الاقتصادي وهماً من الأوهام، أو ظلَّ على الاقل قائماً على أساس مضطرب. وإنْ لم يتمّ الانتعاش الاقتصادي، تأصلت في أحضان الفاقة، تلك القوى الاجتماعية الهدَّامة التي تنخر في جذور الحياة الدولية وتمهِّد للحرب. فالضائقة الاقتصادية، وعدم الاطمئنان إلى أسباب العيش، هي خير تربةٍ تنبت فيها الأحوال التي تهدُّ من أركان الحياة الدولية الطيبة، وتذهب بقوتها، فيرتفع الطغاة إلى الذروة، ويقيمون طبقة على طبقة، وأمة على أمة. ولكنَّ الرخاءَ لا يلازم بطبيعة الحال إقرار السلام وضمان الأمن، فكلُّ مشروع غرضهُ تنظيم السلام، يجب أن ينطوي على مشروعات تقيح للرخاءِ أن يزدهر، لكي تظفر كلُّ أمة، بما يضمن لرجالها ونسائها، عيشاً فوقَ مستوى الكفاف، وعملاً مستمرًّا، وفرصاً وافية للراحة والمتعة، وتربية الأولاد. وقد يضيق نظر أمة من الامم، فتعتقد أنها قادرة على تحقيق هذه الأغراض، وحدها، وبغير تعاون وتبادل. ولكنَّ جميع عبر التاريخ الحديث تقوم حجة ناهضةً، على أن هذا مستحيل. فليس بين الامم أمة ما — حتى ولا الاميركية أو الروسية — تملك في أراضيها جميع الموارد اللازمة لتبلغ في إنتاجها أقصاهُ، فلا بدَّ لها من أن تستورد، وإذا استوردت فلا بدّ لها من أن تصدر، واذن فلا بدَّ لها من أسواق. وحين تقوم صلة أمةٍ ما بالامم الأخرى على أساس الاستيراد والإصدار، صار رخاءُ كلّ أمةٍ جزءًا من الرخاءِ العام أي إن الرخاء

لا يتجزأ . وقد جرّبت طائفة من الدول ، طريقة « الاكتفاء » — على تفاوت بينها ، وهي طريقة الاستغناء عن العالم بقدر المستطاع ، فلا تستورد الدولة إلاّ ما تعجز عن الفوز به في أرضها ، سواء من موارد طبيعية كان ذلك ، أم من موارد صناعية وضع العلم أركانها . والغرض البادي هو رفع مستوى عيش الشعب ، بإغنائه عن العالم . ولكن النتيجة هي خفض مستوى المعيشة لان جميع هذه الأعواض تقتضي من النفقة أكثر مما تقتضيه مثيلاتها المستخرجة من مواردها الطبيعية ولو نقلت من أقاصي الأرض . وسياسة الاكتفاء تقتضي قيوداً كثيرة ، من رخص الاستيراد والإصدار وتحديد مبالغ المال التي تنفق هنا أو هناك وهذه لا يمكن أن تفرض فرضاً دقيقاً ، إلاّ إذا كان الحكم دكتاتوريًّا . والحكم الدكتاتوري يقتضي الاستبداد والتحكم وكم الأفواه وقدع العقول واستثارة الغرائز والأهواء ، والتأهب للحرب فانحطاط مستوى المعيشة يجاريه انحطاط مستوى الحياة المعنوية كذلك .

ومن هنا ما نُصّ عليه في مشروع الهيئة العالمية الجديدة من إنشاء مجلس الاقتصاد والاجتماع ، على أن يضمّ تحت جناحيه هيئات اقتصادية واجتماعية شتى بعضها أنشئ وبعض في دور الانشاء مثل هيئة العمل الدولية ، وصندوق النقد الدولي ، وبنك التعمير والتحسين ، ومكتب الأمم المتحدة للطعام والزراعة ، وهيئة النقل الجوي وغيرها .

***

أما هيئة العمل الدولية ، فتكاد تكون الهيئة الوحيدة بين الهيئات الدولية الكثيرة التي أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى ، التي استطاعت أن تقاوي تقلّب الدهر بين يسر وعسر ، وسلامٍ مستقرّ أو مضطرب ، وحرب مستعرة ، وحققت بعض ما عقد عليها من رجاء . وقد كان همّها الأول أن تضمن لكل رجلٍ قادرٍ على العمل ، حقّ العمل ، وأحوالاً صحية يعمل فيها ، وجزاءً عادلاً عن عمله ، وضماناً لهُ ولأسرته إن تعطّل عن العمل أو عجز عنهُ لتقدم السن به أو إصابته بعاهة أو مرض . ثم كان همّها الثاني أن تنشئ الصلات الاقتصادية والصناعية بين الامم وأن توثقها ، حتى تكون ركناً من الأركان التي يقوم عليها صرح السلام . فالصلة بين السلام والعدل الاجتماعي ، كالصلة بين السلام والرخاء صلة وثيقة.

وقد أنشئت هيئة العمل الدولية في سنة ١٩١٩ على انها جزء من التسوية العامة التي تمت في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية . والنصوص الخاصة بها تقع في القسم الثالث عشر من معاهدة فرساي فمطلع هذا القسم من المعاهدة ينص على ان الدول المتعاقدة قد أسست هذه الهيئة مدفوعة بشعور العدل والانسانية والرغبة في الحصول على سلام العالم الدائم !

ثم يقول إن أحوال العمل والعمال القائمة تنطوي على جور وحرمان لطوائف كبيرة من الناس من شأنها أن تجعل السلام والاتساق العالميين محفوفين بالخطر وتحتم العمل على تحسين هذه الأحوال .

ولذلك انشئت هيئة العمل الدولية على انها علاج لهذه الحالة .

وقد ورد في المادة ٤٣٧ من معاهدة فرساي بعض القواعد التي يجب ان تجري عليها هذه الهيئة في تحقيق القصد منها . وأولاها أن العمل يجب ألاّ يحسب سلعة أو مادة من سلع التجارة وموادها » . ثم هناك قواعد أخرى وضعت للمحافظة على حسن العلاقة بين العمال وأصحاب الاعمال منها دفع الأجور الوافية وتحديد ساعات العمل والغاء عمل الاطفال وجعل الأجور للنساء والرجال واحدة اذا كان العمل واحداً وحماية حقوق العمال الاجانب وغيرها .

تتألف هيئة العمل الدولية بوجه عام من الدول المنتظمة في عصبة الأمم أي ان الانتظام في العصبة يعني الانتظام فيها . ولكن العكس لا يصح . أي ان الانتظام في هيئة العمل الدولي لا يعني ولا يقتضي الانتظام في العصبة . فألمانيا كانت عضواً في هيئة العمل الدولي قبل ان تنتظم في العصبة سنة ١٩٢٥ ، والبرازيل كانت لا تزال عضواً فيها قبل الحرب مع انها انسحبت من العصبة . وقد انتظمت الولايات المتحدة عضواً فيها سنة ١٩٣٤ ، مع انها لم تنتظم في العصبة .

الاّ ان بين العصبة وهيئة العمل فرقاً . فالعصبة مجلس تشترك فيه الحكومات فقط . وأما الهيئة فتشترك فيها الحكومات وجماعات العمال وأصحاب الأعمال . وكل دولة مشتركة فيها يحق لها ان تبعث اليها بأربعة مندوبين منهم مندوبان يمثلان الحكومة والمندوبان الآخران تعينهما الحكومة بالاتفاق مع الجماعات الصناعية إذا كانت قائمة فيمثل أحدهما العمال والآخر أصحاب العمل .

وهي ثلاثة أقسام : القسم (الأول) يعرف باسم المؤتمر العام وهو مؤلف من جميع ممثلي الدول المنتظمة فيه على أساس أربعة ممثلين لكل دولة . والقسم (الثاني) مجلس الادارة وقد كان عدد أعضائه أربعة وعشرين عضواً ١٢ عضواً منهم يمثلون الحكومات ، وستة أعضاء يمثلون جماعات العمال ، والستة الآخرون يمثلون جماعات أصحاب العمل . والقسم (الثالث) مكتب العمل الدولي .

وقد وصفت هيئة العمل الدولية خطأً بأنها انشئت لسن قوانين دولية للعمال والعمل . ولكنها في الواقع لا تملك سلطة تشريعية لأن الدول تحتفظ بسيادتها الخاصة في شؤون

العمل احتفاظها بها في الشؤون السياسية، ولم تتخلَّ عنها لأي مجلس دولي، وليس لمؤتمر العمل الدولي الاّ أن يقترح فله أن يتخذ قرارات وأن يدعو الى الأخذ بها، وله أن يضع مشروعات قوانين وعلى الحكومات المنتظمة في المكتب ان تعرض هذه المشروعات على مجالسها التشريعية في حدود معينة من الزمن. ولكن الواجب على الحكومات المختلفة لا يتعدى هذا الفرض. وللسلطات التشريعية في أي دولة أن ترفض المشروع أو أن تقره أو أن لا تتخذ أي قرار حياله. بل لأي حكومة أن تشير على المجالس التشريعية برفض أي مشروع ولو كان مندوبها قد وافق عليه في مكتب العمل نفسه. وقد حدث ما هو من هذا القبيل مراراً.

وقد أقرت هيئة العمل الدولية عشرات من مشروعات القوانين بلغت سبعة وستين عند نشوب الحرب عدا المقترحات والتوصيات التي اقترحتها أو أوصت بها. وقد عرضت هذه جميعاً على المجالس النيابية في الدول المنتظمة في الهيئة وفقاً لقانونها ولكن يصح القول بأن الدول تلكأت أولاً في ابرامها بوجه عام. ومع ذلك فلم تكد تهل سنة ١٩٤١ حتى كان عدد ما صدق عليه من مشروعات القوانين في شتى دول الأعضاء ٨٧٩ تصديقاً، وبعض الموضوعات التي شملتها هذه المشروعات — تنظيم وتحديد ساعات العمل، تحديد أدنى أجور للعمل، وساعات الراحة كل أسبوع، الاجازات السنوية، العمل ليلاً للنساء والاطفال، عمر الاطفال في الصناعة، والتأمين الاجتماعي، وغيرها.

وقد كانت الدول الفاشستية ناقمة على هيئة العمل الدولية، فانسحبت منها المانيا النازية فايطاليا الفاشستية فاليابان. وحين ضاق خناق المانيا وايطاليا على سويسرا — مقرّ العصبة والهيئة — نقلت هيئة العمل مقرّها من قارة أوربا الى كندا. ولم تلبث في مُقرها الجديد، حتى أخذت تحذر طوائف العمال في القارتين الامريكيتين، خطر الدعاية النازية، وحين عقدت دول الجامعة الامريكية مؤتمرها في هافانا في جزيرة كوبا، في مستهلّ الحرب، نبهت هيئة العمل الدوليـة، ممثلي الجمهوريات الامريكية، إلى أن «حماة الدمقراطية يجب أن يتسلحوا ويستيقظوا» واعترف أعضاء المؤتمر بقيمة هذا التنبيه فقطعوا عهداً «بتأييد الحكومات والشعوب في القارة الاميركية تأييداً لا يضعف، لكي تواصل هيئة العمل الدولية مساعيها دون أن يلمّ بها وَهَن».

***

وقد حرصت هـذه الهيئة خلال الحرب، على أن تسهر على صون ما أدركه العمال من التقـدم الاجتماعي وتوسيع نطاقه. وليس ثمة دولة مهما تكن صغيرة لا تظفر من الهيئة باهتمامها، ولا دولة مهما تكن كبيرة وقوية، تستطيع أن تهمل طويلاً المسائل التي تعنى بها

الهيئة . فالحياة التي ستنبثق من أتون الحرب ، مرتبطة أوثق ارتباط بالمنشآت العالمية التي ينتظر قيامها ، وبشدة ما توليها إياهُ جماهير الناس من ثقة وتأييد وولاء .

ورجال هذه الهيئة يشعرون شعوراً صادقاً بعظم التبعة الواقعة على كواهلهم ، وتعقيد المشكلات التي ما فتئت الهيئة تعالجها منذ ربع قرن أو يزيد ، وقد أضيفت اليها مشكلات أخرى ، تتصل بأحوال العمل والعمال في البلاد التي اكتوت بنار الحرب في أوربا ، وملايين العمال الذين رُحلوا من بلادهم إلى المانيا ، إما بالقوة وإما بالاغراء ، وإحياء الجماعات التي كان للعمال وأصحاب العمل يمثلون فيها ، وانشاء المكاتب التي توجه العامل الى العمل الذي يطلبهُ أو يطيقهُ ، والحثّ على بسط نظام الضمان الاجتماعي للعمال وما أشبه .

وقد عقدت هيئة العمل الدولية في ابريل ومايو من سنة ١٩٤٤ مؤتمرها السادس والعشرين في فلادلفيا ، فأسفر هذا المؤتمر عن وثيقة اجتماعية خطيرة أطلق عليها اسم « دستور فلادلفيا » وهي تقرر ان العمل حق وليس سلعةً ، وان الفاقة في أي مكان خطر يهدّد الرخاء في كلّ مكان ، وأن الحرب على الفاقة يجب أن تشنّ في كل أمة ، وأن توحد المساعي الدولية لتعزيز الخير العام ، وأن جميع الناس بصرف النظر عن السلالة والعقيدة والجنس ، يحق لهم أن يطلبوا العيش الرضيّ والنموّ الروحي في أحوال توفر لهم الحرية والكرامة والامن والمساواة ، وأن تحقيق هذا الغرض يجب أن يكون الهدف الاول لكل سياسة قومية ودولية ، وأن جميع السياسات القومية والدولية ، وجميع الاجراءات ولا سيما الاقتصادي والمالي منها ، يجب أن تقاس قيمتهُ بمقياس ما يسديهِ من خدمة إلى تحقيق هذا الهدف ، وأن على هيئة العمل الدولية ، أن تستوفي بحث هذه السياسات ، على ضوء ما يرجى منها لتحقيق هذه الأغراض وأن تنشر قراراتها وتوصياتها وتضمّ اليها ما تراهُ موافقاً .

والقسم الأخير من دستور فلادلفيا ينطوي على قرارات خاصة بأحوال العمل والتدريب والمساومة المشتركة والضمان الاجتماعي والتأمين على الحياة والصحة ورعاية الحوامل والأمهات والأطفال ، وتوفير الغذاء والمأوى وأسباب التسلية والتثقف والتربية .

وحين استقبل الرئيس روزفلت في وشنطن أعضاء المؤتمر بعد ارفضاضهِ خاطبهم فقال : لقد أيّدتم ولاءكم لمبادئ هي أركان في صرح السلام ... ولخصتم في تصريحكم آمال عصرٍ اكتوى بنار حربين عالميتين . وإنني لأعتقد أن الأجيال المقبلة ستعدّ « دستور فلادلفيا » علماً بارزاً في تفكير البشر ، ويسرني أن اغتنم هذه الفرصة ، لأوافق على مواده المفصلة باسم الولايات المتحدة . وأرجو أن لا يطول الزمن قبل أن توافق على مبادئهِ المفصّلة جميع الامم المتحدة » .

وستكون هيئة العمل الدولية ، إحدى الهيئات التي تضمُّها الهيئة العالميـة الجديدة ، تحت جناحيها، وتتولى رعايتها الجمعية العامة العمومية . وتاريخ هيئة العمل الدولية وما لها من مآثر في خدمة قضايا العمال يعزّز الرجاء بأنها ستساهم منذ اليوم في توفير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي تؤاتي السلام . وخدمة التعمير الاقتصادي والاجتماعي بعد الحرب .

***

وفي شهر يوليو من سنة ١٩٤٤ اجتمع في بلدة بريتون ودز في ولاية نيوهامشير بالولايات المتحدة مؤتمر مالي حضره ممثلو أربع وأربعين دولة . وقد وضع هذا المؤتمر مقترحات لمعالجة الناحية المالية من مشكلات العالم الاقتصادية بعد الحرب ، وكان في طليعة هذه المقترحات «صندوق دولي للنقد» مهمته إقرار ضروب النقد بعد الحرب، وصلتها بعضها ببعض لتيسير التبادل بين الأمم على أساس من نقدٍ غير مضطرب ، ويليه « البنك الدولي للتعمير والتحسين » وإحدى مهامه ضمان القروض الخاصة التي تعقد بالأساليب المألوفة . فأوربا — مثلاً — قد خرجت من محنة الحرب العالمية الثانية وقد تصدعت أركان حياتها الاقتصادية فليس في التاريخ ذكر حرب خلفت وراءها من الدمار ما خلفته هذه الحرب . فأسباب المواصلات ممزقة ، ولقد تجد الفحم فلا تستطيع أن تنقله إلى المصانع . وقد ترى منتجات المصانع ومقادير الطعام مكدسة فلا تستطيع ان توصل مقادير وافية منهـا إلى المستهلكين . والمصانع نفسها أنقاض، وكذلك محطات توليد الطاقة المحركة والمضيئة، والجسور ومنشآت المرافىء . وقد تركت الحرب جزءاً كبيراً من الأراضي الزراعية كالقفر اليباب ، والناس أنهكتهم الحرب وأجاعتهم وأمرضتهم ، فتعمير أوربا أمر لا مفر منه منعاً للفوضى أن تعصف بشعوبها ، وإقامة لركن أصيل من أركان الاقتصاد الدولي إنتاجاً واستهلاكاً .

وليس هذا التعمير بالأمر السهل ، إذ يجب أن يخضع لقاعدتين متلازمتين ، على مجلس الاقتصاد والاجتماع ومجلس الدول الظافرة ، أن يوفقا بينهما . ففي الناحية الواحدة ، يجب أن يكون التعمير ملازماً ومؤيداً للتنظيم السياسي والحربي الذي غرضه أن يحول دون قيام قوة المانيا الحربية مرة أخرى ، وفي الناحية الأخرى يجب أن يكون أساساً لانتعاش الحياة الاقتصادية انتعاشاً يتيح لشعوب اوربا أن ترفع مستوى معيشتها رفعاً مطرداً ويضمن لها رخاء العيش ورضى النفس .

وعلى « البنك الدولي للتعمير والتحسين » في هذا العمل من ناحيته المالية تبعة عظيمة . ولنفرض أن هيئة أهلية في إحدى الدول المتوسطة — يوجسلافيا — أرادت أن تنشىء مشروعاً كبيراً لتوليد الطاقة الكهربائية من مياه أحد أنهارها . وهي لا تملك المال اللازم

لذلك ولا المعدات الضخمة. فلو لم يكن ثمة بنك دولي مهمته أن يعاون على هذا التعمير، لذهب ممثلو يوجوسلافيا إلى سوق المال في لندن ونيويورك ليحاولوا عقد قرض مع بنك كبير أو مع كتلة من البنوك في إحداهما أو فيهما كلتيهما . ولكن هذا البنك أو هذه الكتلة من البنوك ، لا سيطرة لها على شؤون يوجسلافيا الداخلية . إن هي إلاّ منشآت مالية خاصة ، ومهمة مديريها أن يضمنوا لمساهميها ما لهم وأقصى ربح ممكن ، فتفرض على يوجوسلافيا شروطاً مرهقة أو مستحيل التسليم بها ، فيما يتعلق بالفائدة واستهلاك القرض وضمانه . وقد يعقد القرض وقد لا يعقد . فان لم يعقد حرمت يوجسلافيا انشاء مشروع عمراني مفيد يزيد قدرتها على الانتاج ويرفع على الزمن مستوى معيشة أهلها . وإنّ عُقد فربَّما عجزت يوجسلافيا عن النهوض بالتزاماتها ، فيخسر أصحاب المال ، كلَّ مالهم أو بعضهُ .

ثم لنفرض أن السعي لعقد هذا القرض تمَّ وهذا البنك الدولي حقيقة قائمة . فماذا يحدث. يذهب ممثلو الدولة التي تريد عقد القرض ، إلى لجنة القروض في البنك ، وتطلب المال من البنك ، فتسألهم اللجنة ثلاثة أسئلة . أولاً — هل المال لمنشآت منتجة ، ثانياً — أيقصد به لاغراض حربية أو هل يمكن أن يستعمل لأغراضٍ حربية ، وثالثاً — هل تضمن الحكومة اليوجسلافية هذا القرض ، فاذا كان الجواب عن السؤالين الأول والثالث بالايجاب ، وعن الثاني بالنفي ، قرَّر البنك أن يعقد القرض ، أو على الأرجح أن يضمنه للبنوك التي تعقدهُ ، فتكون شروطهُ أقلَّ إرهاقاً ، ويأخذ البنك لقاء عملهِ هذا أجراً قيمتهُ واحد في المئة في السنة .

فإذا طبَّقت عمل البنك الدولي على عشرات من هذه المشروعات العمرانية في أوربا ، علمت مبلغ نصيبه في عمل التعمير الاقتصادي والاجتماعي .

وقد قال مورجنتاو وزير مالية الولايات المتحدة ، في وصف النتائج التي أسفر عنها مؤتمر بريتون ودز : لقد وضعنا نظاماً يتيح للناس في كل مكان ان يتبادلا السلع تبادلاً حرّاً . على أساس من الانصاف والاستمرار . . . وخطونا الخطوة الأولى التي تمكّن أمم العالم من أن يساعد بعضها بعضاً في التقدم الاقتصادي تقدماً ينفعها ويزيد ثروتها جميعاً » ولم تكن الوفود التي حضرت المؤتمر مفوَّضة فالمشروع مطروح لإقرارهِ ، وبرغم ما وجه إليه من نقد ، يلوح أن إقرارهُ مضمون

فؤاد صروف

قواعد النظام المالي

- ١ -

الخراج

الخراج لغة ، حصيلة الضريبة المفروضة على قطعة أرض أو عبد . واصطلاحاً هو الضريبة المفروضة على الأرض ، على المشهور . ويمتد هذا التعريف حتى يشمل الجزية كذلك بحسب رأي البعض . وهو من أموال الفيء ، ويفرض ابتداءً على الذميين . مثله كمثل الجزية ، ولكنه لا يسقط بالاسلام في حين انها تسقط به ، وهذا ما يميزه عن الجزية

وأكثر مؤرخي العرب يستعملون كلمة « خراج » وهم يعنون الايرادات ، على ان هذه الكلمة بالمعنى الحقيقي لها ، تدل على ما يجبى من الأرض المزروعة . وهذا يعزى الى ما للخراج من خطر وشأن في المالية العامة الاسلامية ، اذ يكوّن الجزء الأعظم من ايرادات الدولة ، بل كانت جميع الايرادات الأخرى لا تعد بجانبه شيئاً مذكوراً ، فلا بدع ان يسمي هؤلاء الكتّاب مجموع الجباية خراجاً ، باطلاق مدلول الجزء على الكل .

١ – منشأ الخراج

الأرض التي يستولي عليها المسلمون تنقسم من وجهة طريقة الاستيلاء عليها قسمين ، أرض الصلح ، وأرض العنوة . فأما أرض الصلح فهي التي طلب أصحابها الأمان والدخول في ذمة المسلمين مقابل مقدار من الأموال يتفق عليه الطرفان ، وعلى هذا تضم بلادهم الى دار الاسلام ويعدون رعايا الدولة الاسلامية ، ويجب احترام ما صولحوا عليه ولا يجوز للامام قطعاً الخروج على شروط الصلح ، اذ يعد هذا نكثاً بالعهد الاسلامي .

وأما أرض العنوة فهي البلاد التي استولى عليها المسلمون غلبةً وقهراً ، وقد صار في شأن هذه الأرض جدل عنيف ونقاش طويل ، وانقسم المسلمون فيها فريقين .

الفريق الأول – يقول بتطبيق قاعدة الغنائم عليها ، أي تُخَمَّس ، فيعطى الخمس

للدولة لينفق في مصارفه، وتفرق أربعة الأخماس الباقية على من حضروا القتال، اذ لا معنى البتة للتفرقة بين ما يستولى عليه المسلمون من المنقول في السلاح والنقود، وبين العقار كالأرض. ويرى الفريق الآخر ان الأرض يجب أن تظل في أيدي أصحابها يستثمرونها ويفرض عليها الامام، مقابل هذا، مقداراً يؤدونه على حسب ما يراه، وبذلك تكون فيئاً للمسلمين جميعاً على كرّ السنين وتعاقب الدهور.

وسنبسط رأي كل فريق متخذين مثلين بارزين: العراق ومصر.

١ — فتح العراق: لما فتح المسلمون العراق (السواد) استشار عمر بن الخطاب الصحابة فيما يجب عمله بشأنه فرأوا أن يقسموه، وكان بلال بن رباح أشدهم في ذلك، ومن قوله لعمر «اقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر»، وقال آخرون بان هذا حق من حقوقهم تجب قسمته بينهم، فكان عمر يجيب: «فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي». فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض الا مما أفاء الله عليهم. فقال عمر: «ما هو الا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا يقع بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين، إذا قسمت الأرض العراق والشام فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق، فأكثروا على عمر وقالوا «أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا». فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي، قالوا فاستشر. فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا وانقسموا فريقين، فريقاً يرى رأيه وآخر يخالفه. فأرسل الى عشرة من الأنصار من كرامهم وأشرافهم فلما اجتمعوا قال: «اني رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم فقسمت ما غنم من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه. قد رأيت أن أحبس الارضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم. أرأيتم هذه الثغور لا بدّ لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام الشام والجزيرة والكوفة والبصرة لا بدّ لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون فقالوا «الرأي رأيك» فنعم ما قلت. وما رأيت إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به، رجع أهل الكفر إلى مدنهم. «فقال» قد بان لي الأمر فمن لي برجل له جزالة عقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون. فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف، فولاه عمر بساحة أرض العراق فأدت جباية سواد الكوفة

قبل أن يموت عمر بعام مائة الف الف درهم، والدرهم يومئـذٍ درهم ودانقان ونصف ، وكان وزن الدرهم وزن المثقال (١) .

* * *

هذا مجمل ما ذكره ابو يوسف عن هذا الحادث الخطير في الاسلام آثرت ايراده على علاته لاضع صورة واضحة للقارئ الكريم عن التيارين اللذين كانا يتجاذبان هـذا الموضوع والنقاش الذي دار بشأنه والذي انتهى بفوز رأي عمر، أي بوقف الأرض على الصالح العام. والواقع ان عمر كان يكره تملك المسلمين للارض ويخشى إذا تملك العرب الأراضي واشتغلوا بالزراعة استكانوا للدعة واستطابوا رغد المدنية فيهملون فرض الجهـاد . فحرّم عليهم اقتناء الضيـاع والزراعة لأن أرزاقهم وأرزاق عيالهم وما يملـكون من عبيد وأموال ، كل ذلك يدفعه لهم من بيت المال .

ومهما يكن من أمر فقد كان رأي عمر هذا خيراً للعرب عامة وأهالي البلاد المفتوحة بصفة خاصة ولا سيما إذا لوحظ أنه إذا قسمت الأرض بين الفاتحين لم يستطع هؤلاء استغلالها بمثل المقدرة التي كان أصحابهـا الأولون يبذلونها ، لجهل العرب بأصول زراعتها وعمارتها . وفي هـذا يقول أبو يوسف « وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ، لأن هـذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقوَ الجيوش على السير في الجهاد ، ولما أمن رجوع أهل الـكفر الى مدنهم إذا خلت من المقاتلة . . . الخ »

ب — فتح مصر : لما تمّ فتح العرب لمصر اختلف في شأنها ، عنوةً كان فتحها ، أم صلحاً ذا عهد وشرط . وقد ثار الجدل الذي قام عقب فتح العراق بشأن تقسيم البلاد بين الفاتحين كما مرّ بنا ، إذ طلب فريق الفاتحين وعلى رأسهم الزبير بن العوام قسمة البلاد فأبى عمرو بن العاص ذلك وكتب الى عمر في هذا الشأن فردّ عليه بقوله « حتى يغزو منها حبَـل الحبَـلة » (٢) على ان مصر عوملت كما عوملت العراق فتركت الأرض في أيدي أصحابهـا يستغلونها ويدفعون عنها مقداراً معلوماً كان في أول أمره دينارين . وبذلك أصبح الأمر قاعدة عامة اتخذها العرب في كل بلد فتحوه . وتتبين أهمية اعتبار البلد فتحت عنوةً أو صلحاً عنـد البحث في تقدير الخراج .

---

(١) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي « الخراج » صفحة ١٤ — ١٦

(٢) ابن عبد الحكم فتوح مصر صفحة ٨٤ — ٨٨

٢ — تقدير الخراج

الأرض التي صولح عليها أهلها ، يؤدون عنها ما تعهدوا بأدائه ولا يجوز للامام أن يستأدى أكثر منه في جميع الأحوال ، سواء زادت غلتهم أو قلت ، ساد الرخاء أو امحلت البلاد . أما الارض التي فتحت عنوةً فاتبع العرب نحوها احدى طريقتين . خراج الوظيفة أو خراج المقاسمة .

وخراج المقاسمة عبارة عن جباية مقدار نسبي من محصول الأرض كالنصف أو الثلث أو الربع أو الخمس . أما خراج الوظيفة فمقداره ثابت يفرض على الأرض ، وهذا المقدار كمية من المحصول أو النقد ، أو محصول مساحات معينة من أرض أو عدد معلوم من الأشجار . ويفرض الخراج على الأرض بصرف النظر عن كون المالك قاصراً أو بالغاً ، حرًّا أو عبداً ، رجلاً أو امرأة ، مسلماً أو ذميًّا. ويتفرَّع على ذلك إنه إذا أسلم مالك ذمي أو باع أرضه لمسلم فلا يتغير وضع الأرض ، أي يجبى منها الخراج (١) — وسنفرق في كلامنا على سعر الضريبة بين القواعد الشرعية وبين ما أتبع فعلاً .

١ — القواعد الشرعية : نسب الأداء تجبى من جميع الأراضي الصالحة للزراعة والسهلة الري على الوجه الآتي : ـ (المذهب الحنفي) صاع من الشعير أو التمر ودرهم عن كل جريب من الشعير أو القمح (الجريب ٣٦٠٠ ذراع مربعة) . ويرى الشافعي أربعة من القمح وعن جريب الشعير درهمان . وتؤدى النسبة عن جريب الرطبة خمسة دراهم ، ولكن الشافعي يراها ستة وعن كل جريب من الأشجار الملتفة المتشابكة وكروم العنب والنخيل عشرة. ولكن الشافعي يراها ثمانية ويرى الماوردي (المذهب المالكي) عن الأشجار عشرة وعن النخيل ثمانية دراهم وعن قصب السكر ستة دراهم .

ويشترط في فرض الضريبة على الأشجار أن تكون كثيفة الانبات متشابكة إلى درجة يتعذر معها زرع المسافات التي تتخللها . أما إذا كانت متباعدة وقائمة في حقول فتعفى من الضريبة ، إذ تؤدي في هذه الحالة ضريبة الأرض المزروعة (٢) .

وقد حدَّد فقهاء المذهب الحنفي النسبة القصوى لضريبة الخراج بما يسمونه « غاية الطاقة » بالنصف من المحصول كله ، ويتفرَّع على هذا ألا يجوز فرض ضريبة تتعدى هذه النسبة المقررة ، وينتج عن هذا المبدأ أيضاً إمكان انقاص الخراج إلى الحد الذي تطبقه

---

(١) يرى الامام مالك وجوب رفع الخراج في هذه الحالة أسوة بالجزية

(٢) الفتح جزء ٥ صفحة ٢٨٢

الأرض . ولا يجيز فقهاء هـذا المذهب زيادة النسب التي قررها عمر حتى لو كانت الأرض تحتمل نسبة أعلى . وقد ورد في الدر (ص ٣٦٥) انه لا يجوز بحال من الاحوال أن يتعدى الخراج الخمس حداً أدنى والنصف حداً أعلى.

وإذا فرضت الضريبـة للمرة الأولى تحت الحـكم الاسلامي . فأبو حنيفة وأبو يوسف يريان أنه لا يزال من غير الجائز شرعاً وضع حـدود تجاوز ما استنه عمر. ويدللان على ذلك بأنه خاطب عامليه على السواد (العراق) عثمان وحذيفة بقوله « إنه يخشى أن يكون قد حمل الأرض ما لا تطيق فأجاباه بانهما حملاها ما تطيق وانهما لو شاءا لحملاها اكثر وتطيقه . فهذه العبارة تبين أنه يجوز انقاص النسبة اذا كانت الأرض لا تحتملها ، ولـكن من جهة أخرى لا تجوز زيادتها حتى لو استطاعت تحمل النسبة الجديدة . إذ أن عمر على الرغم من علمه بأن الأرض يمكنها تحمل نسبة أعلى ، رفض زيادة النسبة القائمة .

ويطالعنا رأي يباين الآراء السالفة وهو رأي احمد بن الحسن الذي يقول بجواز فرض النسبة العالية ما دامت قد وضعت على أساس طاقة الأرض واحتمالها (١)

واذا كان المحصول لم يرد فيـه نص شرعي فان المـاوردي يرى جواز تأدية النسـبة المفروضة على المحصول الأقرب إليه في المظهر وأوجه الانتفاع

ب — ما أتبع فعلاً في فرض الخراج

أمر عمر بمسح أرض السواد فبلغت ستة وثلاثين الف جريب فوضع على جريب الزرع درهماً وقفيزاً (٢) وعلى الـكرم عشرة دراهم وعلى الرطبة خمسة دراهم وعلى النخل ثمانية دراهم وعلى قصب السكر ستة دراهم وعلى الشعير درهمين .

وقد تحسنت الأحوال الاقتصادية في العراق في عهد العباسيين إذ جعلوه مركز دولتهم فلما تولى المنصور رأى ان استبقاء الخراج عليه بالمساحة لا يلائم حالة السكان فجعل خراج الحنطة والشعير (وهما أكثر غلات العراق مقاسمة) وأبقى اليسير من الحبوب والنخل والشجر على قاعدة المساحة ، فاذا زادت الغلة زاد الخراج واذا نقصت نقص .

٢ — خراج المقاسمة : سنأخذ مثلين بارزين هما العراق ومصر .

فأما العراق فقد مرَّ بنا ما فعله المنصور . وقد استمر الحال على هذا الى أيام المهدي (١٥٦ـ١٦٩هـ) الذي جعل المقاسمة بالنصف في الأرض التي تسقى بالامطار وبالربع في الأرض التي تسقى بالدواليب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي ، وبقي خراج النخل والـكرم

---

(١) الهداية صفحة ٢٨

(٢) الجريب ٣٦٠٠ ذراع مربعة والقفيز عشر الجريب اي ٣٦٠ ذراعاً مربعة . ويعبرون عن القفيز وزناً بثمانية أرطال ويقدرون قيمته بثلاثة دراهم (انظر الماوردي في الاحكام السلطانية صفحة ١٣٧)

والشجر على المساحة كما كانت أيام المنصور، وفضل بعضه على بعض باعتبار قربه من الأسواق والعرض (١) وقد زاد المهدي هذا الخراج فيما بعد الى أن أصبح ٦٠ ٪ من غلة الأرض . وفي عهد الرشيد أرجع الخراج الى ما كان عليه أيام المهدي . ولما تولى المأمون جعل الخراج ٤٠ ٪ من المحصول وخفض كذلك خراج بعض البلاد الأخرى .

أما في مصر فقد ذكر ابن عبد الحكم (٢) انه كان يجتمع عرفاء كل قرية (أهل الرأي فيها) اذا ما دعت الدواعي لانتقاص الخراج أو لزيادته فيتناظرون في العمار والخراب . فاذا انتهى نقاشهم وجدلهم بوجوب الزيادة مثلاً اجتمعوا هم ورؤساء القرى الأخرى ووزعوا الزيادة على جميع القرى كل على حسب طاقتها واحتمالها وتبعاً لسعة مزارعها ، ثم ترجع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبذرون فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعداتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد أيام الضيافة للمسلمين ونزول السلطان . فاذا فرغوا نظروا الى ما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم ـ فان كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها ، ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم كلٌ على قدر طاقته، فان عجز أحد وشكا ضعفاً عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة أعطي ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحنوا قسموا ذلك على عدتهم . ويستنتج مما رواه ابن عبد الحكم ان عمرو بن العاص فرض على كل فدان مزروع حبًّا نصف أردب قمح وويبتين من الشعير ومجموع ذلك خمس ويبات من الحبوب عن كل فدان مساحته ٥٩٢٩ متراً مربعاً أي سبع كيلات عن كل فدان مساحته ٤٢٠٠ متر مربع . أما الأرض المزروعة برسيماً فلم يفرض عليها خراج .

٣ — العوامل التي تحدد الضريبة (٣) .

إن على واضع الخراج على مساحة ما من الأرض أن يأخذ في اعتباره طاقة الأرض على تحمل الضريبة . وهذه الطاقة تتغير بتغير عوامل ثلاث : فأول هذه العوامل يتعلق بالأرض نفسها أي نوعها . فهو يؤثر في نوع المحصول وكميته . والعامل الثاني نوع المحصول الذي يؤثر في ثمنه ودرجة الاقبال عليه . والثالث يتعلق بطريقة الري . فالمحصول الذي يرويه ماء يحمل على ظهور الحيوان أو بواسطة آلة رافعة لا يستوي من حيث الجهد المبذول في ريه مع

---

(١) البلاذري « فتوح البلدان » صفحة ٢٩١ ووارد أيضاً في الماوردي « الاحكام السلطانية »

(٢) ابن عبد الحكم « فتوح مصر » صفحة ١٥٢ — ١٥٣

(٣) . الاحكام السلطانية للماوردي صفحة ١٣٣ ـ ١٣٥ ، وانظر كذلك الاحكام السلطانية للقاضي أبي يعلي الفراء الحنبلي صفحة ١٥١ـ١٥٢

المحصول الذي يروى بماء الانهار الجارية أو الامطار . ويقوم الري على أربع طرائق :

١ — الري بدون الاستعانة بأداة ما ويكون ذلك بواسطة الماء الجاري الصادر من الينابيع أو الأنهار بتحويله عن مجراه الى الحقل . وهذه الوسيلة هي أكثر الوسائل ربحاً وأجزلها عائدة ، كما انها أقلها كلفة ، لأن الماء يحوّل الى الارض اذا احتيج اليه ويحول عنها اذا ما بطلت الحاجة اليه .

٢ — الري باستخدام واسطة كأن يحمل على ظهور الحيوان أو يحصل عليه بواسطة رافعة : وتلك الوسيلة هي أشق الوسائل وأكثرها كلفة .

٣ — الري الطبيعي بواسطة الامطار أو البرد أو الطل .

٤ — الري بواسطة رطوبة التربة أو الماء الكامن في جوف التربة ، في هذه الحالة تروى المحاصيل بواسطة جذورها .

ويعتبر الري بواسطة القنوات من القسم الاول اذا كان الماء المستخدم جارياً ، ومن القسم الثاني اذا لم يكن كذلك . والري بواسطة الماء المستخرج من الآبار يقع في القسم الثاني اذا كان يجلب على ظهور الحيوان وفي القسم الأول اذا وصل الارض بواسطة القنوات

نخلص من ذلك الى القول بأن على واضع الخراج مراعاة العوامل الثلاثة سالفة الذكر أي طبيعة الارض ونوع المحصول وطريقة الري . وبذلك تتحقق وتصان مصلحة فريقي المكلفين بالاداء والمنتفعين منه . وقد ذكر بعضهم عاملاً رابعاً يتعلق ببعد الارض عن المدن والاسواق . ودللوا على ذلك بأن ثمن الارض يطرد ارتفاعاً وهبوطاً مع قربها أو بعدها عن مراكز التعويض بيد أن آخرين يردون على هذا الرأي بأن هذه الحالة تنطبق فقط اذا ما كان الخراج يؤدى نقداً ، ولا يكون كذلك اذا ماكان يؤدى عيناً في حين أن العوامل الثلاثة سالفة الذكر لها أثرها في كلتا الحالتين .

واذا ما فرض الخراج على أساس المبادىء سالفة الذكر فانه يقرر تبعاً لاجزل الطرائق عائدة - يفرض على مساحة الارض اجمالاً . وأما على الجزء المزروع من الارض فحسب واما أخيراً على المحصول . وتتخذ السنة القمرية لحساب الخراج اذا فرض على الارض برمتها . واذا فرض على الجزء المزروع اتخذت السنة الشمسية في الحساب ، أمّا اذا فرض على المحصول فلا يستحق إلاّ منذ نضجه وتهيئته للاستهلاك . وإذا ما اتبعت طريقة من طرائق فرض الخراج سالفة الذكر فلا يجوز تغييرها والأخذ بطريقة أخرى ولكن تستمر دواماً بلا تبديل طالما لم يتغير وضع الأرض . أما اذا تغير وضع الأرض فيفرق بين حالتين .

الأولى — حالة ما اذا كان التغير الحادث راجعاً الى فعل صادر عن صاحب الأرض ترتبت

عليه زيادة الطاقة الانتاجية للأرض . كماء يحول اليها من نهر أو حفر بئر . والعكس إذا ما ترتب على هذا الفعل هبوط طاقتها الانتاجية كإهمال زرعها أو استخدام وسائل قاصرة في ذلك . وفي الحالة الأولى لا يزاد الخراج بزيادة الطاقة الانتاجية ، وفي الحالة الثانية يلزم صاحب الأرض بالعناية بزراعتها لئلا تصبح بوراً .

الثانية — إذا حدث التغير نتيجة لعمل خارج عن ارادة صاحب الأرض بسبب حادث طبيعي طارئ سواء نجمت عنه فائدة للأرض أو ضرر لها فيفرق بين حالتين : —

١ — اذا أحدث التغير ضرراً كانخساف الأرض أو جفاف ماء النهر فان كان الاصلاح ممكناً فعلى الامام القيام به بالاستعانة بالدخل المخصص للأعمال ذات النفع العام ويرفع الخراج عن صاحب الأرض طوال الوقت الذي تظل خلاله عطلاً من الزرع . أما إذا لم يكن الاصلاح ممكناً بأن تصبح الأرض غير صالحة للزرع فيرفع الخراج عنها نهائيًّا ، اللهمَّ إلا إذا أمكن الانتفاع بها في أغراض أخرى كالصيد أو الرعي وفي هذه الحالة يؤدى الخراج عليها كما يؤدى على الأرض المماثلة لها .

٢ — وإذا حدث مس الجهة الأخرى أن أفاد التغير الأرض بأن تبع النهر مجرى جديداً فأصبحت الأرض تروى بالماء الجاري بعد ان كانت تروى ريًّا صناعيًّا ، فللامام الخيار في زيادة مقدار الضريبة أو ابقائها على ما هي عليه حسبما يتفق والصالح العام . ويشترط في ذلك أن يتحقق للتغير صفة الدوام والثبات أما إذا كان التغير وقتيًّا فالضريبة تبقى على ما كانت عليه.

وإذا ما تعذر زرع الأرض سنويًّا بأن لزم تركها بدون زراعة لاراحتها السنة التالية لزراعتها ، فيجب تطبيق أكثر الطرائق الآتية اتفاقاً مع الصالح العام . إما يفرض على الأرض نصف السعر الشائع وإما تعتبر وحدتا المساحة (جريبان) وحدة واحدة (جريباً واحداً) وبذلك يتفادى تقاضي شيء على الجزء غير المزروع . أو أخيراً يفرض السعر على الجزء المزروع فحسب. وإذا أقدم أحد المكلفين بدون اذن من الامام على استبدال نوع ما من المحصول يؤدى عليه سعر عال بآخر يؤدى عليه سعر أقل فانه يجبر على الاستمرار في أداء السعر الأعلى لانه مسؤول عن هبوط السعر .

وإذا ما زرع شخص في حقله كروماً أو أشجاراً مشابهة لها ، فانه يستمر على أداء خراج المحاصيل إلى أن تحمل الأشجار ثماراً وعندئذ يؤدى على الجريب منها عشر دراهم ، وإذا ما بلغت قيمة المحصول عشرين درهماً أو أكثر أو أقل من ذلك ، يؤدى نصف هذه القيمة بشرط أن لا تقل عما يعادل قفيزاً من الحنطة ودرهماً ، إذ أن هذا هو الحد الأدنى الذي يؤدى عليه جريب من الأرض القابلة للزراعة .

« يتبع »

فؤاد محمد شبل

أفتونا

نشرنا في العدد السابق من المقتطف كلمة عن كتاب « الزمان الوجودي » تأليف الاستاذ عبد الرحمن بدوي ، ووعدنا القراء بنقل عبارات من هذا الكتاب نتقدم بها لحضرات الاساتذة المبجلين أعضاء هيئة الامتحان الذي انتهى باعطاء صاحب هذه الرسالة درجة في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول ، لعلهم يستطيعون أن يفسروا لنا بعض مغمضاتها ، فنستنير بها في نقد هذا الكتاب .

وقبل أن نمضي في نقل هذه العبارات أود أن أشير الى أن حضرة المؤلف الفاضل لم يذكر المصطلحات الاعجمية المقابلة للمصطلحات العربية التي استعملها في الكتاب ، حتى يكون الناقد على بينة بما بين يديه من مصطلحات بلغ ببعضها الغموض مبلغاً عظيماً . ولقد شذ المؤلف عن هذه القاعدة في كلمتي intuition و instinct فدل بهذا الشذوذ غير المقصود على انه لم يدرك شيئاً من سر الاصطلاح الفلسفي ، فاذا قسنا بقية مصطلحات الكتاب على ما شذ فيه فذكر أصله الاعجمي ، وضح لنا ان نقد الكتاب من المستحيلات وان فهمه أعقد من ذنب الضب .

ففي ص ٩٢ : « عيان يناظر : intuition » . وفي ص ١٨١ : « هي ما يسميه باسم intuition أو الغريزة — من شأن الـ intuition أو الغريزة . . . فكأن ترجمة كلمة intuition مرة بلفظة « عيان » ومرة بلفظة « غريزة » ، . . . والغريزة instinct لا شك فيها ولا ريب ، وكلمة « عيان » بعيدة عن intuition بعد الثريا عن سهيل .

فاذا كان المؤلف قد جرى في كتابه على هذا التخليط في استعمال المصطلحات فعلى الزمان وعلى الوجود السلام . اما اذا تفضل فزودنا بالاصول الاعجمية التي تقابل مصطلحاته ننظر فيها من وجوه ما تحتمل من المعنى الفلسفي والمعنى اللغوي ، فانه بذلك يخدم الادب ويخدم نفسه أكبر خدمة .

والى الاساتذة أعضاء هيئة الامتحان نتقدم بالعبارات الآتية وقد غمضت علينا كما غمض كثير غيرها ، لعلهم يزودوننا بما يفتح مغاليقها ، ولاشك في أن لهم فيها رأياً ، وقد منحوا كاتبها درجة في الفلسفة .

ص ١٣٥ : لاوجود إلا بالزمان . والزمان سر التناهي . فكل وجود لفناء . ولكن الفناء تحقق الامكان . وكل تحقق بالفعل . والفعل هو الخلق . فالتناهي اذن خلاق .

ص ١٣٦ : ان الشعور بالوجود لايكون قوياً عن طريق الفكر المجرد . لان الفكر المجرد انتزاع النفس من تيار الوجود الحي ، وانعزال في مملكة أخرى تذهب منها الحياة المتوترة الحادة ، ولا يسودها فعل وحركة ، بل صيغ خارجية عن الوجود لا تنبض بدمه . انما يبلغ الشعور بالوجود أعلى درجة في حالة العقل الباطن الذي أنشب أظفاره في الحياة المضطربة ، أي في حالة النزوع المشبوب العاطفة ، فهي حالة تنسب اذن الى الارادة والعاطفة ، أولى من انتسابها الى العقل والفكر . ولذا يجب أن ننشدها في مقولات العاطفة والارادة ، نضعها مكان مقولات العقل التي لم يعن الفلاسفة بغيرها حتى الآن .

ص ١٨٢ : أفكار لتكوين ظاهريات خالصة وفلسفة ظاهرياتية ??? .

ص ١٨٤ : ومنطق الوجدان منطق التوتر . ولذا نرفض مبدأ عدم التناقض الذي يقوم عليه المنطق العقلي ، بالنسبة الى الوجود الذاتي ، لأن هذا المنطق العقلي لا ينطبق إلا على الوجود الفزيائي . ذلك أن العقل في بحثه الفزيائي يميل دائماً الى نشدان الهوية في كل ما يتناوله .

ص ١٨٥ : أما المنطق الذي نقول به فلا يقول برفعه مطلقاً ، بل بالعكس : يحتفظ للتقابل بكل حدته وتوتره ، ولذا فضلنا تسميته « منطق التوتر » . وتبعاً لهذا فان المقولة الثالثة من كل ثالوث مقولات ، الى وحدة التوتر ، هي المعيار الاصلي والمبدأ الرئيسي الذي يقوم عليه هذا المنطق الجديد .

افتونا يأولي الألباب !!! .

وعلم آدم الأسماء !

قرأت بمزيد الاهتمام ما كتبه الدكتور أحمد زكي بك في عددي يناير وفبراير الماضيين (١) عن اللغات التي تصلح والتي لا تصلح لتكون لغة التفاهم بين الشعوب . ولقد انتهى في بحثه الى الأخذ بأن اللغة الانكليزية هي اللغة الصالحة لذلك . ولكنه اعترض في نفس الوقت على أن هجاء هذه اللغة — أي الانكليزية — عسير . وأنا أقول إن هجاءها عسير جداً ويكاد يكون عقبة كأداء في سبيل قبولها لغة عالمية للتفاهم . وأزيد على ما قاله الدكتور زكي بك ان النطق بها من أصعب الأمور ، فان لم تعاشر الانكليز ، صعب عليك اكتساب لهجتهم الصحيحة . وقد يختلف في بعض الأحيان أبناء هذه اللغة أنفسهم على نطق كلمات منها ، بل يكاد يكون من المستحيل اصلاح هجائها ، فقد عجز الأميركان عن ذلك ، ولم يغيروا إلاّ في هجاء بعض كلمات لا أهمية لها ، فأبدلوا centre بـ center و through بـ thru ولكن ما السبيل الى اقناع أي مبتدىء في تعلم اللغة الانكليزية ان thought تنطق « ثُوطْ » وان enough تنطق « إِنَفْ » ؟؟؟

أذكر اني وُجدت مع بعض الانكليز بمسرح في لندن حيث كان يمثل أحد الانكليز بلهجة أجنبية لقيامه بدور أجنبي. فما أشد ما دهشت عند ما طلب مني أحد أصدقائي الانكليز أن أفسر له كلمات هذا الممثل الذي كان ينطق لغته بلهجة أجنبية ! فلغة صعبة النطق كهذه لا تصلح قطعاً ان تكون لغة تفاهم وإن حكم أبناؤها البحار !

هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، فاني أوافق الدكتور زكي بك في اعتراضه على معظم اللغات التي ذكرها . فاللغة الفرنسية مثلاً ، التي تعد منذ قرنين تقريباً اللغة الرسمية بين الحكومات والملوك ، لن تكون لغة تفاهم إلاّ بين بعض الطبقات الخاصة من الأمم ، فهي بلا شك أصعب اللغات نحواً ، وأقل تبديل في موضع حرف يغير معنى الكلمة ، بل الجملة بأكملها ، هذا رغماً عما نعرفه في هذه اللغة من الدقة المتناهية في التعبير عن المعاني ، مما جعلها اللغة الوحيدة الصالحة للمعاهدات التي تكتب بحيث لا تقبل الالتباس . أما اللغات الأخرى

---

(١) من مجلة الهلال الشهرية.

كالروسية والألمانية ومجموعة اللغات الهندية والصينيـة ، فقد أظهر الدكتور زكي بك الأسباب التي تحول دون قبول احداها لغة عالمية

المطلوب اذاً لغة تستوفى الشروط الآتية :

(١) سهولة النحو (٢) النطق (٣) الهجاء (٤) الـكـتابة (٥) قابلية التطور

إني أرى ان اللغة التي تستوفى هذه الشروط هي اللغة التركية .

فأولاً : من جهـة النحو : نجد أن للغة التركية قواعد من أسـهل ما يـكون ، فلا استثناءات قطعيًّـا ولا مذكر ولا مؤنث ولا جماد . فبعد أن تقرأ عشرة الأبواب أو الاثني عشر باباً من قواعد هذه اللغة ، لا يمكن أن تخطىء أو تنسى ما قرأت ، فلا تغيير ولا تبديل في الـكلمة ان كانت فاعلاً أو مفعولاً . أما الفعل فمكوّن من مادة أصلية يزاد اليها أحرف اذا أردت ماضياً أو مضارعاً : مفرداً كان أو جمعاً . ففعل أخَـذ يتـكون من المـادة الأصلية : آلِ بمعنى خُـذْ فني الماضي المفرد المخاطب يزاد عليها «دم» فنقول :« آلـدِمْ» اي أخذتُ والمضارع آليرمْ:«آخُـذ» وإذا قلت :« آلـدِيرْدمْ » وأضَـفْـت الاحرف« دير » للكلمة كان المعنى : أخَّـذْتُ أي جعلته يأخذ . فتجد أمامك دائماً المادة الأصلية باقية في ابتداء الـكلمة يزاد اليها أحرف لتصريفَ الافعال .

ثانياً : الآن واللغة التركية تـكـتب بالحروف اللاتينية لا يمكن بأي حال من الاحوال ارتـكاب اخطاء في النطق . خذ مثلاً كلمة « كورك » فان كتابتها بالأحرف العربية على هذا النمط ونطقها المتعدد كان موضع التباس مستديم، فحسب قراءتها في الجملة ، تكون بمعنى فرو أو مجداف أو مِعْـوَل . أما الآن فقد تـكونت منها ثلاث كلمات مختلفة النطق تماماً . فاذا نطقت Kürk فالمعنى فرو و Körek مِعْـوَل و gevrek مجداف وامتنع بذلك الخلط في المعنى واللفظ والنطق

زد إلى ذلك أن كتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية قد قرّبها لأكثر اللغات الاوربية ، فضلاً عما كان بها من تقارب بينها وبين اللغات الشرقية . ففيها الآن ال ö الموجودة في كلمة hören الألمانيـة وال ü كما تنطق في كلمة dur الفرنسية وال ç كما في كلمة much الانـكليزية أو Nichevo الروسية كما لم تزل العين والقاف والخاء العربية لها أحرف لاتينية تقابلها، أليست هذه من المؤهلات الجوهرية لجعل هذه اللغة متداولة بين الأمم ؟

ثالثاً : الهجاء في اللغة التركية بعد كتابتها بالاحرف اللاتينية أسـهل هجاء من أية لغة على وجه البسيطة ، فـكل حرف يُـنطق، ولا وجود لحروف ساكنة كما في اللغة الفرنسية أو الانـكليزية حتى انها فاقت اللغات الألمانية والايطالية في سهولة هجائها فبينما كلمة Station

تُنطق «ستاسيون» في الفرنسية و«ستيشن» في الانكليزية ، وجب علينا أن نعرف ان هذه الكلمة مشتقة من كلمة Statio اللاتينية ، وعليه نكتبها بهذه الطريقة ، لعلمنا أن التاء موجودة في الأصل . اما في التركية فانك تكتب الآن كما تنطق وتنطق كما هو مكتوب أمامك ، فكُتبت هذه الكلمة هكذا Stasion وإذا أردت بعد ذلك التبحُّر في أصول اللغة ، فلك التعمق ما شئت للوصول إلى أصلها وفصلها .

رابعاً : ظهر من التجارب أن الحروف اللاتينية هي أسهل حروف للكتابة . فان الألفاظ المصوَّرة في اللغة الصينية تحتاج إلى وقتٍ ومهارة في الرسم . والأحرف العربية زخرفية ومختزلة وغير واضحة ، واليونانية متعبة للنظر ، والألمانية يتعذر قراءتها الاّ بمجهود ، حتى أن الألمان والروس واليابان واليونان قرروا منذ أمد غير بعيد الأخذ بالأحرف اللاتينية توفيراً للجهد والوقت .

خامساً : اللغة التركية الحديثة ، غير اللغة التركية القديمة ، فانها مجموعة متناسقة من الكلمات التركية القديمة زيد إليها بعض كلمات فارسية ، ثم أدخلت عليها كلمات عربية مع الدين الاسلامي . ونظراً لما للشعب التركي من علاقة الجوار بأوربا ، فقد اقتبس كلمات يونانية قديمة وحديثة ، وأخذ ألفاظاً عن الصقالبة والجرمان والفرنجة أي ان هذه اللغة جمعت بين الأصل المغولي واللغات السامية والآرية والسلافية . فبعد كتابتها بالأحرف اللاتينية ، وثبت إلى الأمام وثبة هائلة . فعندما كان الأتراك يكتبون بالحروف العربية ، كانوا يترجمون الاصطلاحات العلمية الحديثة إلى العربية الفصحى ، ثم يدمجونها في لغتهم . اما الآن فقد أدخلت الاصطلاحات العلمية والطبية والهندسية والكيميائية ، كما هي في جميع لغات العالم المتمدين . واذا وقع نظرك على كتاب في الكيمياء باللغة الاسبانية مثلاً ، ثم على كتاب في الكيمياء باللغة الانكليزية ، ثم على ثالث في نفس المادة باللغة التركية ، وجدت درجة التشابه الشديد بين هذه الكتب . لقد صارت اذاً هذه اللغة قابلة للتطور ولا شيء يمنع العلماء في تركيا الآن من أخذ أي اصطلاح حديث على علاته أو إدخاله في اللغة كما يفعل الفرنسيون اذا ما اكتشف عالم روسي ميكروباً جديداً وأعطاه اسماً مشتقاً من اليونانية القديمة ، أو كما يفعل كيميائي من البرتغال اذا ما سمى كيميائي دانماركي مادة مكتشفة حديثاً باسم روعيت فيه الصفة العالمية .

هنا يحتمل ان يعترض أنصار الاسبرانتو أو اللغات التي تشابهها قائلين : لماذا نختار لغة دون أخرى من اللغات الموجودة في العالم ولا نخلق لغة عالمية ؟ وجوابي على هذا أنه ما الداعي للبحث عن لغة جديدة لن يتم صقلها إلاّ بعد مئات السنين ، وأمامنا لغة قد برهنت على سهولتها من جميع الوجوه ؟ !

حمى الحمام

نشرت صحيفة جمعيــة الاطباء الاميركية مقالا عن حمى الحمام Ornithosis وأيدت ان المشــاهدة قد دلت على ان مرض حمى الحمام في الانسان ، وهو مشابه لمرض الببغاء Psittacosis ، يصيب الانسان بنسبة أكبر مما يقــدر الاطباء ، وأن أكثر الحالات التي تشخص بأنها التهاب رئوي فيروسي هي في الحقيقة حمى الحمام ، وان البنسيلين ناجع في علاج هذه الحمى .

ويقول دكتور « تورجاسن » ان التجاريب قد دلت على ان عُقار البنسيلين قد دل على انه شاف شفاءاً أكيداً من مرض الحمام بتجارب أجراها على الفئران . ويقول بأن مرض الحمام ومرض الببغاء متشابهان في أعراضهما كل التشابه ، وربما كان اختلافهما ينحصر في نوع الفيروس ومصدر العدوى .

وقد تكلم دكتور « تورجاسن » عن حالة رجل عمره ٤٣ سـنة يربي الحمام في حظيرة اتخذها خلف منزله ، فأصابه المرض وشفاه البنسيلين.

قبل نشوب هذه الحرب ببضع سنوات ، هاجر مئات من الأساتذة الألمان وحطوا رحالهم في الاستانة ، فما كان من أتاتورك بثاقب ذهنه ، إلاّ أن رأى ما يمكن جنيه من الفائدة ، إذا اكتسب ثقافة هؤلاء العلماء لشعبه . فاختار منهم الأفذاذ ، أي ما يربو على الأربعين عالماً . وطلب منهم الالتحاق بالجامعات التركية وأغراهم بالمال على أن يدرّسوا باللغة التركية ، وترك لهم الوقت الـكافي لدراسة اللغة ، دون تحديد المدة اللازمة لتعلمها وبأجر كامل ، ابتداءً من قبولهم الالتحاق بالجامعات المذكورة . وهنا نرى العجب العجاب : فانه نظراً لسهولة هذه اللغة نحواً وصرفاً ونطقاً وكتابةً وهجاءً ، تسنى للأغلبية الساحقة من هؤلاء العلماء القاء محاضرات على تلاميذهم باللغة التركية بعد انقضاء ثلاثة شهور

أظن أن الدكتور زكي بك يوافقني تمام الموافقة ، اذا استنتجنا مما ذكرناه ، أن هذه اللغة هي اللغة الوحيدة الصالحة لان تكون لغة عالمية للتفاهم ، وبعبارة أوضح اللغة الثانية لجميع الشعوب .

دكتور : توفيق صادق سليط

الاتحاد القومي

داؤه وأدواؤه (١)

— ٣ —

ينبغي في هذه الناحية أن أعرض لشبهة اجتماعية خدّاعة قد تحوم في أذهان بعض الناس فتنشب مخالبها في أذهان آخرين. تلك الشبهة هي الخلط بين حق الجماعة في كيانها المعنوي ، وحق كل فرد من أفرادها في حياته الخصوصية . ان حق الجماعة المعنوي لا يجوز سريانه الى كل فرد من أفرادها. فاذا قلنا إن لهذه الطائفة الكبيرة حق التفوق على أختها، تلك الطائفة الصغيرة في مظاهر وأمور رسمية وشبه رسمية ، فلا يستنتج من ذلك أن أي فرد كان من الاولى، يجب أن يتفوّق على أي فرد كان من الثانية . وبعبارة أبسط وأوضح، نقول ان للطائفة الاسلامية الكبيرة حق التفوق والامتياز. ولكن ليس معنى ذلك أن كل فرد من أفرادها يجب أن يدعي لنفسه أو يدعي له غيره حق التقدم على كل فرد آخر من كل طائفة أخرى . وصواب هذه النظرية قريب من البديهيات ، إذا تأملنا منه قليلاً . فمن منا نحن اللاذقيين مثلاً ترضى نفسه ويقتنع وجدانه بوجوب تقديم أي دمشقي كان أو أي حلبي أو أي بيروتي على أي لاذقي كان بحجة أن دمشق أو حلب أو بيروت هي أعظم وأهم وأعمر من مدينتنا اللاذقية . هيهات هيهات ! فان ابن هذه المدينة لم تندغم في شخصه مدينته . كما أن ابن تلك الطائفة لم تندغم في شخصه طائفته .

ومما يعوز أبناء الوطن في أثناء تعاملهم وتعاشرهم ، أن يتحمل بعضهم بعضاً في كثير من الهفوات والزّلات غير الصادرة عن روية وسبق إصرار، فان في أدبنا العربي ما يحثنا على النهج القويم حتى قال عنترة العبسي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال شاعر آخر جاهلي عرف بالفضل والحمية مع جمال الوجه واسمه المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدّا
إذا أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هم هَوَوْا غيّي هويت لهم رشدا

---

(١) نشر البحثان السالفان بمقتطف شهري مارس ومايو ١٩٤٥

وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمرّ بي   زجـرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى   فان قلَّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم   فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقال غيره وأظنه الوزير المهلبي :

تناس ذنوب قومك إن ذكر   الذنوب اذا قَدُمْـنَ من الذنوب

وارتقى الى درجة أعلى في مكارم الأخلاق من قال :

إذا بدرت من صاحب لك زلة   فـكن أنت محتالاً لزلته عذرا

ومن ذلك النهج الشريف ، التجاهل والتغافل في كل مقام يقتضيهما . وأول من أشار إلى ذلك في ما طالعناه ورويناه مؤسس الدولة الأموية معاوية بن ابي سفيان حيث قال : «حتام نتخادع للناس وهم يظنون انهم يخدعوننا ؟ »

أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

ليس الغبيّ بسـيدٍ في قومهِ   لـكنَّ سيد قومه المتغـابي

وقد فصل مجمله وجلا رونقه الشاعر أبو شراعة بقوله :

وإذا الـكريم أتيته بخديعَـةٍ   ورأيته في ما تروم يسارعُ
فاعلم بانك لست تخدع عاقلاً   لـكنه من فضـله يتخادع

ونظر فيه الأمير أبو فرّاس الحمداني، وكان في ساعة غضب واشمئزاز لما ناله من إجحاف وسوءِ معـاملة فقال : مبرهناً على انه وهو في معظم طور الشبيبة ممن يتأنون ويصبرون ويكظمون الغيظ :

تغابيتُ عن قومي فظنوا غباوتي   بمفرق أغبـانا حصى وترابُ
ولو عرفوني مثل معرفتي بهم   إذن علموا اني شهدت وغابوا

وبناءً على ما تقدم معنا ذكره، يحتاج الوطن الى تأسيس جمعية وطنية في كل مدينة من مدنه، لكي تعمل بهذه المبادىء، فيقتدي بها أهل المدينة وملحقاتها ، وعلى وجه خاص لـكي تسعى بالوسائل الفعالة الى مكافحة العوائق الأربعة . التي أشرنا إليها : مكافحة النعرات الطائفية، ومكافحة عادات التجنب والنفور في عاداتنا المعاشية ، ومكافحة مساعي من لا يروقهم هـذا الأخاء العام وهذا الاتفاق التـام ، ومكافحة من يظهرون، بغير ضرورة ولا مسوّغ واضح ضعف ثقة بالسلطة الوطنية ومروءة الخواص من أبناءِ الوطن . وينبغي أن يـكون بين جمعياتنا الوطنية التي تؤسس لأجل هذه الأغراض ترابط وتفاهم وتعاون وثيق العرى بتبادل الرسائل

وزيارات الوفود لأجل توحيد الكلمة وتوحيد المسعى . ولا بد أن يكون لهذه الجمعيات مركز رئيسي في دمشق أو مركزان رئيسيان متحالفان في دمشق وبيروت، حسبما يستقر رأي أبناء بلادنا بهذا الشأن .

وقبل الخروج من البحث الحاضر يطيب لي أن أعزز الموضوع بشيء من الشعر وهو جزء من قصيدة لي وطنية اقتضاها المقام يوم القائها . والخطاب فيها مصوب على وجهٍ خاص الى أعيان الوطنيين وعقلائهم :

عليكم سادتي بنيَ الرجاء   فلمْ لا يستقيم لنا البناء ؟
إذا عقلاؤنا خذلوا حماهم   فدنيانا وما كنها هباء
وما تجدي الرجال ولا عقول   وما تجدي العقول ولا وفاء
أتعجبك الحقول وليس روض   أتعجبك الرياض وليس ماء
فياعقلاؤنا عطفاً علينا   إذا ما خان مسعانا النماء
ومزروع الوداد لكم ومنكم   وفيكم وهو يعوزه اعتناء
ألا فتعاهدوه بكل عونَ   تحالفه المعزة والسناء
ولا تدعو المجال بهِ ليأس   فداء اليأس ليس له دواء
إذا مشروعنا قصدَ اتحاد   تعزز فالفخار لكم جزاء
وما أنتم إذا أبدى قصوراً   من العار المحتم أبرياء
أرأسُ منى الديار ومشتهاها   نجافيه فينكرنا الآباء ؟
ونطمع أن نعد رجال حزم   فكيف إذن يكون الأغبياء ؟
معاذ الله ، ذلك لن نراه   وفيكم نخوة ولكم مضاء

هذه حقائق راهنة تحثنا بصوت عالٍ مهيب ملؤه الصواب والحكمة والاخلاص أن نجتمع كلنا كتلةً قومية واحدة على اختلاف أدياننا ومذاهبنا، فنتقي مواضع الأذية والخطر والعار . كذلكم أمنيتنا الذهبية التي نتلمسها ، وكذلكم مثلنا الأعلى الذي نسعى إليه ولنا أمل وطيد بالحصول عليه ولو بالتدريج ، ولكنه تدريج مطرد سريع الخطى بفضل وجود عقلاء محنكين بين أظهرنا وبفضل ما انطوت عليه الشريعة الاسلامية من جرثومة الخير والمرونة وروح التسامح مماشاةً للاحوال الطارئة، ومراعاةً لكل مكان وكل زمان . ومن ثمَّ لقبت بحق الشريعة السمحاء حتى قالوا : « ان المؤمن لا يكون الاَّ هيِّناً ليِّناً » وحتى ورد في الأحاديث النبوية الشريفة : « ان المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » والمراد بالمنبتّ المنقطع عن رفاقه في السفر . والمراد بالظهر ظهر دابتهِ . فالحديث يشير بهذا التشبيه الجميل

* * * * * * * * * * *

من حكمة التأمل

نسمع الفيلسوف النظري يقول لابنه : يا ابني : ساعد نفسك على شوقها الى الكمال . ولا كمال في المادة . انما الكمال في تصفية النفس الناطقة ، والبعد بها عن الانغماس في شهوات هذا العالم السفلي ، الذي مصيره للفساد . صل لربك ، يعنك على تطهير نفسك من أرجاس الشهوات . واعلم اننا ما عشنا لنأكل ، بل نحن لا نأكل إلا لنعيش . فاقصد في طلب الرزق ، وحسبك منه الكفاف ، واسرف في تهذيب نفسك ، ان صح ان في الخير سرفا . رض نفسك على الخير بحسابها على كل ما تعمل حساباً عسيراً . وساعد عاطفة حب الجمال والكمال في قلبك على تعطيل الشهوات السبعية . ان لنفسك عليك حقاً في مساعدتها على أن لا تنزل كثيراً عن المستوى العالي الذي نزلت منه الى جسدك الفاني ، وللناس عليك حق ارشادهم الى الغاية التي خلقوا لها ، وهي الوصول الى الكمال اللائق بهذا الانسان الذي كرمه الله وشرفه على جميع مخلوقاته . ولا تجزع لطارقة تنزل بك ، بل اني لاعجب لامرىء ينتظر من عالم الفساد غير المحن التي يمتحن الله بها عباده الصابرين . ولا تترك فرصة الموت تأتيك في الدفاع عن مظلوم أو القيام بحماية وطنك الا انتهزتها وحسوت فيها كأس الموت سائغاً . فان الموت خمر الصالح يشربها فتنقله من عالم الشرور والمحنة الى نعيم مقيم . ذلك هو الكمال الذي نبغيه من عالم النقص . وما كنا الا لنموت . ولاشك عندنا في أن النتيجة اللازمة ، تابعة في الصحة والفساد لمقدماتها الضرورية . فالنفس التي أحسنت عملا ترجع الى عالمها القدسي ، قريرة العين بما تلقى من النعيم . أما من أساءت استعمال قدرتها ونسيت الرجعى الى خالقها ـ أعيذك بالعقل الاول ـ لا تصيب بهذا الانتقال الا عذاباً أليماً .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف المقبلة

* * * * * * * * * * *

في قالب الاستعارة التمثيلية ، اشارة بليغة الى سوء المصير الذي ينتظر كل امرىء متصلب يبتعد في سلوكه عن خطة العدل والاعتدال .

هذا جل ما استصوبت الادلاء به أمامكم مدفوعاً بعامل الاخاء الوطني والغيرة القومية ، وقد اخترت صراحة اللهجة مع المحافظة على شرط اللياقة والتأدب مخترقاً الموضوع في صلبه وزواياه غير مكتنف بالطواف حواليه كما يفعل الاكثرون . ولعلّ ما أدليت به كافٍ لتذكير الناسي وتنبيه الغافل . والله في عون العبد ، ما دام العبد في عون أخيه .

اللاذقية

ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي في سورية

المساء

للدجى في صفحة الأفق لواءٌ   وعلى الأرض من الليل رداءٌ
يستسرُّ الكون في ثوب الدجى   كدفين الشوق يخفيه الاباء
أو كداجي الحقد في صدر الفتى   جاثماً يطويه خبٌّ ورياء
والدجى في الافق مغض ساكتٌ   كحليف الداء أضناه العياء
كم معانٍ للدجى في صمته   ومن الصمت بيان وأداء
ليت شعري كيف يأتي صامت   بالذي قصر عنه الشعراء

***

تحسب الجوزاء روضاً ممرعاً   شوشت أيكته ريحٌ رُخاء
ينثني الأيك من برح الجوى   كمشوقٍ هاجه وهناً حداء
فاضْطَنَى من لوعة الوجد على   كبد قرَّح جنبيها البكاء
أو كما العذراء ماست خَفَراً   وبعينيها ادِّكارٌ ورجاء
ولضاحي النجم من رَيِّقه   جذة المصباح يذكيه الضياء
وكأنَّ النهر في زرقته   ساطع الفجر إذا شاعت ذكاء
لست تدري أسماء أطلعت   لجة الماء ام الجوزاء ماء
وحواشي الليل أفواف ، لها   في مسَد الأفق نشرٌ وانطواء
فهي حيناً علمٌ منتشرٌ   وعلى الغبراء درع وغطاء
وهي حيناً لمعنىً بُرْقع   هاضه الدهر وللعاري كساء

***

نام من في الكون الاّ موجعاً   شفه السهد وأصماه البلاء
كلما عاوده من أمسه   لاعج الوجد نزا في الصدر داء
يطبق الجفن على أحلامه   مستعيداً ذكر من غال القضاء
فيخال النار توري صدره   ومن الذكرى شجون وعناء
والدجى في الأفق مغضٍ ساكتٌ   كحليف الداء أضناه العياء

دمشق   عدنان مردم بك

ترعة السويس

نشأة سيادة مصر

على البحار

في بلدٍ كمصر ، يخترقه نهر عظيم ، صالح للملاحة طول أيام السنة ، لا ينفك يجري من أقصى الوادي الى أقصاه ، ولا يتسع عرض ضفافه المأهولة في مواضع كثيرة إلاّ إلى مسافات قريبة ، كان حتماً مقضيًّا أن تكون الملاحة النهرية فيه قائمة منذ فجر التاريخ وان تبقى عماد المواصلات عند الأهلين على مرّ السنين .

وكان حين نظر المصريون الأقدمون الى ما تنتجه أرض مصر ، لم يجدوا خيراً من قصب الغاب والبردي ، يصلحان لأن يتخذ منهما بعد جفافهما مواد أولية ، لبناء ما لتجاوز في تسميته بالمراكب النهرية أو المعابر ، فكانوا إذا شدوا هذه المواد بعضها الى بعض ، استوت شيئاً أشبه ما يكون بمعبرة غفل ، يقطعون بها النهر طولاً وعرضاً على نحو ما يفعل اليوم بعض سكان أعالي النيل . وإذ كانت هذه المعابر عرضة للعطب السريع لضعف مادة بنائها ، فقد ساعد ذلك على ازدياد في نموّ صناعتها ، كما ساعد على اضطراد التجديد والتحسين فيها . وهكذا تطوّرت هذه الصناعة من « شد » معابر غفل ، الى بناء سفن نهرية . وكان قدماء المصريين قد اكتسبوا خبرة ثمينة في فن الملاحة النهرية قبل أن تتاح لهم فرصة ليستبدلوا أعواد قصب الغاب والبردي ، بأنواع من الخشب في بناء السفن . وهدتهم تجاريبهم الى الاحتفاظ بطابع خاص لسفنهم التي كانوا يبتنونها ، ووفقوا آخر الأمر الى ايجاد نموذج يردون اليه كل سفينة أية كانت ، فتفي بكل غرض وتتسع لكل حجم وتلائم كل مطلب . وقد أجادوا بناء كل أنواع السفن ، حتى يخوت الملوك التي تحوي من أسباب الرفاهية والترف أدقها وأبلغها . صنعوها وأجادوا صنعها . جرى ذلك في مصر قبل اليوم بأربعة آلاف سنة أو يزيد .

وكانت قد قضت ظروف الحال على أهل مصر بأن ينموا ، باديء ذي بدء ، الملاحة النهرية فولوها عنايتهم حتى ازدهرت وأينعت . إلاّ أن شدة العناية بها وبنموها وازدهارها أعاق تقدم الملاحة البحرية . ويرجع سبب مبالغتهم في العناية بأمر الملاحة النهرية الى عوامل شتى ، من بينها السياسة الخارجية التي اتبعها ملوك الفراعنة الأول . غير ان طبيعة البلاد ما كانت

لتجيز تقييد الملاحة البحرية بحال . فالبحر يحتضن مصر من الشمال كما يحتضنها من الشرق وقد أدرك خطورة ذلك الموقف أهل مصر ، فارتسموا لأنفسهم سياسة جديدة في الملاحة ، وكان ذلك عام ٣٠٠٠ قبل ميلاد المسيح ، حين وجدوا أن النيل يكاد يكتظ بكثرة السفائن التي تسير فيه ، وانه صار لمصر عمارة نهرية غاية في القوة والبأس . وليس أدل على مبلغ تكاثر السفائن في مصر من كلمة وردت ضمن خطاب رفعه ثري شعر بدنو الأجل ، إلى القضاة الاثنين والأربعين الذين يتولون محاكمته في الآخرة ، هذا بعض نصه :

« . . . . وقد أعطيت خبزاً للجائع وماء للعطشان وثياباً للعاري وزورقاً لمن ليس له مركب . . . » . وإذ كان تكاثر السفائن قد بلغ حد التَّصَدُّق بها ، فلا عجب أن يضيق بها النيل ، وان يعمل المصريون ليجوبوا بحار الأمم المجاورة . وكأن كل شيء في مصر قد مهد لأهلها العمل على جوب البحار . فكانت الحياة في هذا البلد كما هي اليوم قائمة كلها إلاَّ فيما ندر ، على ضفاف النيل وما يتفرَّع منه ، وكان كل عمل في مصر ، له بالنيل صلة . وكان المركب النهري يأتي في المرتبة الأولى من بين وسائل المواصلات ، وقعَ ذلك لأن كل مصري كان منذ الصغر أليف النيل ، أليف الملاحة . ومع هذا فما كان النيل بالنهر الوديع الهادئ على مدار أيام السنة . فله في بعض الأحايين ثورات حادة وغضبات مخيفة ، وبه أماكن شديدة الخطورة . وهكذا كانت الملاحة في النيل بمثابة مدرسة تعلَّمَ فيها المصريون كيف يكافحون الرياح والأمواج ، وكيف يتَّقون مواضع الخطر . فلم يلقوا حين خرجوا إلى عرض البحر أية صعوبة . والراجح عندي أن فينيقية كانت أول بلاد وقعت عليها عيون الملاحين المصريين .

وإذ خفي علينا الزمن الذي بدا فيه المصريون يرسلون عمارتهم البحرية إلى فينيقية ، كما خفي علينا موعد وصول أول سفينة مصرية الى تلك الشواطىء السورية ، فمن الثابت أن مصر كانت تستورد في العصور الخوالي قدوراً فينيقية ملأى بزيت الأرز اللبناني . وقد وجد بعض هذه القدور في « عبيده » Abydos ضمن ما حوته مقابر ملوك الأسرة المصرية الأولى ، التي حكمت في القرن الثلاثين قبل ميلاد المسيح . وهذه القدور هي بعض ما جلبته الحملة المصرية التي بعث بها الملك « ساهور » Sahure إلى فينيقية . وما من شك في أن استيراد البضائع من بلاد الفينيقيين كان يجري قبل ذلك التاريخ . ذلك لأن زيت الأرز رغم استحالة الحصول عليه إلاَّ من خارج البلاد المصرية ، فقد كان مُدْرَجاً ضمن أقدم قائمة عرفت ، حوت أنواع القربان التي كان يتقرَّب بها المصريون إلى أربابهم . وإذاً فقد كانت السفن البحرية تجري بين أرض النبل وبلاد الفينيقيين ، حاملة البضائع والركاب بين القطرين

منذ أقدم العصور . وما من ريب في أن هذه السفن كانت من صنع مصر ، يديرها ملاحون مصريون ، وتحمل الجنسية المصرية . ذلك لأن الفينيقيين لم يكن لهم ذكر في التاريخ حتى القرن العاشر قبل ميلاد المسيح . ويرى أشد المؤرخين تحيزاً لفينيقية بان الفينيقيين كانوا حتى القرن الحادي والعشرين قبل ميلاد المسيح على حظ من الثقافة والرقي أقل من القليل ، ولم تكن الظروف قد تهيأت لهم بعد لأن يخطو الخطوة الأبجدية نحو مدنيتهم ، التي جاءت بعد ذلك بعدة قرون . وكأن مصر جابت البحار قبل أن تصحو فينيقية بنحو عشرة آلاف سنة على الأقل . وفي ذكر هذه الحقائق وحدها ، ما يكفي لانهيار دعوى بعض المغرضين القائلين بأن مصر ، منذ أقدم عصورها ، كانت تعتمد على الفينيقيين في الملاحة . واذاً فلا شك في أن مصر كانت تصدّر إلى فينيقية على سفن مصرية ، يديرها ملاحون مصريون ، بضائع مما جملته أيدي صناعها المهرة ، كما كانت تستورد منها كل ما يمكن الحصول عليه من مواد خام وأخصها الأخشاب . فقد كانت بلادهم غنية بالغابات غنى لا يماثلها فيه إلاّ البلاد الشمالية من القارة الاوربية في عصرنا الحاضر .

ولعلّ أقدم وثيقة وصلت الينا تحدثنا عن سير السفن المصرية إلى بلاد فينيقية ما أظهرته النقوش المصرية التي ترجع إلى القرن التاسع والعشرين قبل ميلاد المسيح ، والتي جاء فيها انه قامت لعهد الملك « سنفرو » Snofru أو ما بين عام ٢٨٤٠ و ٢٨١٦ قبل ميلاد المسيح حملة بحرية فاقت كل ما قبلها ، مكوّنة من أربعين سفينة مصرية ، حمّلت في مياه فينيقية بأخشاب الأرز ، فوصلت سالمة إلى المياه المصرية .

وما إن انقضت مائة وخمسون سنة على ذلك التاريخ حتى أخذ المصريون في رسم سفنهم نقشاً على قبور ملوكهم . وذلك لأول مرة في تاريخهم ، بل ولعلها كذلك في تاريخ العالم ، وفي هذا دليل قوي واضح على ما كان للملاحة من منزلة في نفوس المصريين . والناظر إلى مقبرة « ساهور » الذي حكم بين عام ٢٦٧٣ وعام ٢٦٦١ قبل ميلاد المسيح يبهره حتماً جمال السفينة المنقوشة على تلك المقبرة . تلك السفينة التي يقول عنها رجال البحر في عصرنا هذا : « انها سفينة بحرية لاشك في ذلك . وان المصريين اكتسبوا البتة قبل بنائها بعدة سنوات ، خبرة فائقة في فن الملاحة البحرية ، وعرفوا ما تتطلبه هذه الملاحة من مستلزمات في السفينة فأقاموها » .

وهكذا ما كاد القرن العشرين قبل ميلاد المسيح يستهل ، حتى كانت سفائن مصر تمخر عباب البحر المتوسط وتجوب أرجاءه وتتبادل مع بلاده البضائع على نحو ما كانت تفعل مع بلاد الفينيقيين . إلاّ ان سير السفائن المصرية بين مصر وجزيرة قبرص جرى قبل

ذلك التاريخ بأمد طويل، وذلك حين وجد المصريون معدن النحاس موفوراً في هذه الجزيرة وكانت صناعة النحاس في مصر قائمة منذ أقدم العصور. وكان كل اعتماد مصر في هذه الصناعة على مناجم النحاس في شبه جزيرة سينا، التي استغلها المصريون منذ نحو ٣٠٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح. فلما عثروا على النحاس في قبرص رحبت به الصناعة المصرية. وليس أدل على ذلك من تعدد خطابات ملك «الاسيا قبرص» إلى الملك «أمينوفيس الرابع» Amenophis تلك الخطابات التي وجدت في خزائن دار المحفوظات بمدينة العمارنة التي تشير الى مقادير النحاس التي استوردتها مصر من الجزيرة. أما البضائع المصرية فكان التجار ينقلونها الى قبرص، فيتهافت أهلها على اقتنائها. كذلك كان يفد على مصر من حين لآخر تجار وسوّاح من الاسيا.

واذا كان هذا مبلغ رواج الملاحة بين مصر وقبرص، فقد كانت الملاحة بين مصر وجزيرة كريت أنشط وأقوى. وما كانت المصنوعات المصرية لتعم هذه الجزيرة فحسب، بل كانت منتشرة عن طريقها في بقية جزر بحر ايجة. وقديماً استورد المصريون من كريت وعن طريقها ما وجدوه من مواد أولية في الجزر اليونانية، ومن بينها الاحجار الثمينة التي اشتهرت بها جزائر أوْلِيَ. ويكفي دليلاً على قدم نشاط الملاحة المصرية في منطقة الجزر اليونانية، القول بأن الأحجار الثمينة التي وجدت في مقابر الأسرة المصرية الأولى، مصدرها الأوحد جزائر أوْلي هذه. غير ان العلاقات التجارية، وبالتالي الملاحة البحرية بين مصر وكريت، لم تزدهر إلاّ في عصر الأسرة الثامنة عشرة او حوالي سنة ١٥٠٠ قبل ميلاد المسيح.

هذا وكان قد طرأ على بناء السفن في بدء عهد الأسرة السادسة المصرية بعض التعديل. ثم أخذ بهذا التعديل شيئاً فشيئاً الى ان عمّ كافة السفن النهرية، كما عمّ السفن البحرية. ولعلّ أوثق مصدر يمكن الرجوع اليه في شأن نماذج السفن البحرية وكيفية استخدامها خلال القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح، ما نجده من رسوم في الدير البحري تصوّر لنا العمارة البحرية التي بعثت بها الملكة «حَتشَبسوت» Hatschapsut الى بلاد «بنط» Punt على الساحل الصومالي. وقد لا يهمنا تفاصيل ما أجري على السفن في مصر من تعديل في بنائها. فالملاحون والاختصاصيون به أولى. ولكن قد يلفت نظرنا شيء واحد، وهو ان السفينة المصرية في ذلك العهد كانت تحوي عدة أشرعة بأحجام مختلفة، يستخدم كل منها حسب قوة الريح واتجاه سير السفينة. وما كانت السفن الشراعية التي استخدمت في البحر الأبيض المتوسط بعد ذلك خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر بعد ميلاد المسيح، إلاّ شبيهة بالسفن المصرية شبهاً وثيقاً. بل ولا زالت هذه النماذج من السفن هي المفضلة على غيرها عند الملاحين اليونانيين في البحر المتوسط وعند العرب في البحر الأحمر.

وكان من الطبيعي أن تجوب سفائن مصر البحر المتوسط قبل ان ترتاد مياه البحر الأحمر . وذلك لأسباب أهمها أن سكان مصر يعيشون في كنف النيل وعلى ضفافه ، والنيل ينتهي الى البحر المتوسط . وان المناطق الآهلة بالسكان بعيدة عن البحر الأحمر الذي يفصله عن وادي النيل صحراء محرقة . ورغم هذا كله فقد ارتاد الملاحون المصريون البحر الأحمر منذ أقدم الأزمنة . والثابت أنهم خرجوا من ضفاف النيل قرب مدينة قفط Koptos الى البحر الأحمر، ليبتنوا على شواطئه سفناً . وكان يحتم هذا عليهم أن ينقلوا من قفط ، كل ما يحتاجون اليه من مواد لبناء السفن، وكذلك الماء والغذاء لكل الذين يعملون في هذه الصناعة . ولكي نقدّر عملهم هذا حق قدره ، يجب ألاّ نغفل ذكر أن أقرب مسافة بين النيل والبحر الأحمر ، أو ما بين قفط والقصير هي مسير أربعة أيام ، وان السبيل إليها غير مطروق . وقد أحرقته الشمس وأوحشته الصحراء التي لا ماء فيها البتة . وعند ما يصل الانسان إلى البحر يجد شاطىء البحر قحلاً كالصحراء . وهكذا كان يرسل من النيل إلى البحر على ظهور الحمير وغيرها من الانعام وعلى أكتاف الآدميين ، كل المواد والأدوات اللازمة لبناء المراكب ، وكذلك الماء والغذاء واللباس وحاجة المساكن التي أعدت لآلاف ممن يعملون في بناء السفن، ثم ما يكفي من ذلك كله للرحلة البحرية ، فضلاً عن السلع التي كانت تحملها هذه السفن الى البلاد الخارجية . وقد يبدو لنا ونحن نعيش في عصر السرعة ان ذلك لا يتم إلاّ في شهور ولكن « أوني » Uni يذكر لنا أن المصريين ابتنوا مركباً بحريًّا كبيراً في سبعة عشر يوماً فقط .

وإذا كانت الملاحة في البحر الأحمر اليوم ، رغم استخدامنا كل الوسائل العلمية الحديثة ، من كتب موسوعة في فن الملاحة البحرية ومن خرائط مفصلة وارشادات جمة ، لا زالت محفوفة بالمخاطر والصعوبات ، فأحرى بها ان تكون كذلك في قديم العصور . ذلك بأن جوّ البحر الأحمر حارٌ شديد الحرارة الى الحد الذي لا يطاق ، ثم هو مشبع بالرطوبة ليل نهار . وزيادة على ذلك فالشعاب الكثيفة تمتد على جانبيه مسافات طويلة وتنتشر في نحو ثلث مساحته، وكذلك المرجان الجاثم في قاعه يرتفع الى نحو متر ونصف قبيل مستوى سطح الماء . ورغم ذلك فقد كانت الملاحة بين مصر وبلاد « بُنْط » منتظمة السير مما يدل على أن الملاحة البحرية عند المصريين الأقدمين بلغت أوجها . وتدل الحملة الكبيرة التي قامت بها العمارة البحرية في عهد الملك « ساهور » والتي جلبت كميات وفيرة من المنتجات الاستوائية ، على صدق ذلك . وأقوى دليل على هذا تلك النقوش التي نراها على مقبرة « كْنِمْحُوتَب » Knemhotep والتي تشير إلى أن سير الملاحة الى بُنْط كان قائماً ومنظماً

وان عدد السفن الذاهبة إليها والراجعة منها كان كبيراً . ولم يكن «كْنِمْحُوتَب» هذا إلاّ رفيقاً لسيده ، أحد أمراء البحر الذي قاد سفنه الى بنط إحدى عشرة مرة . ولم تكن قيادة السفن بالأمر الهين إذ ذاك ، فقد كان المصريون يعنون كل العناية بدراسة الملاحة علمياً وعملياً ليخرجوا ملاحين تفقهوا في دراسة اليابس والماء ، على حدّ تعبيرهم.

وكانت أن بقيت صلة مصر ببلاد بنط لا تنقطع حتى نهاية الأُسرة الثانية عشر . ثم تراخت تلك الصلة لمدة غير قصيرة . فلما ان جاءت الملكة «حَتْشَبْسُوت» أمرت بارسال حملة بحرية إلى بُنط قوامها خمس مراكب . ومن رسوم على معبد الدير البحري نرى كيف كان أهل مصر يقدمون القربان لهاتور Hator لكي ترسل الرياح لها مؤاتية . وفي صورة أخرى نرى هذه السفن ثانية قريبة من شاطىء تلك البلاد النائية وهي تشحن من بُنط ما حصلت عليه من بضائع . وفي صورة ثالثة نرى هذه السفن نفسها وقد أتمت رحلة موفقة تسير بأقصى سرعتها نحو طيبة وهي نهاية المرحلة . ومن الغريب أن المصريين الأقدمين لم يذكروا لنا شيئاً عن مشاق هذه الرحلة أو أخطارها ، رغم أن المبالغة تشيع في كثير من آدابهم . ولعلّ أخطار ومشاق السفن في البحر لكثرتها ، صارت من عاديات الأمور عندهم ، فأغفلوا ذكرها . كذلك لم نعرف أية طريق سلكته هذه الحملة البحرية : هل انتهت الى مينا على البحر الأحمر كما كان متبعاً من قبل ثم نقلت السفن وما حملت بطريق البر الى قفط ، ثم سارت في النيل الى طيبة ؟ أم قد كان لدلتا النيل قناة تصل بين الفرع الأيمن للنيل وخليج السويس ، كي يتيسر للسفن مواصلة السير الى طيبة ؟ من الثابت أن «سيزوستريس» Sesostris حفر قناة كهذه ، ولكنا لا نعرف أكانت قائمة في عهد «حَتْشَبْسُوت» أم أن الرمال التي لا تنفك الرياح تحملها في مواسم معينة من السنة ، عطلت السير فيها فردمت بفعل الزمن . هذا ما لم يقطع فيه برأي الى اليوم . أما في عهد «رمسيس الثالث» فقد كان الملاحون حين يرجعون من «بنط» ينتهون الى القصير على البحر الأحمر ، ثم يسيرون براً إلى قفط .

وفي عهد الملكة «حَتْشَبْسُوت» وعصر الملك «توت موزيس» الثالث Thutmosis أي منذ عام ١٥٠١ حتى عام ١٤٤٧ قبل ميلاد المسيح ، بلغت الملاحة البحرية في مصر أوجها مرة أخرى ، واتسعت وتعددت رحلاتها . ولكن منذ بدء انحطاط الصناعة وما تلاها من كساد التجارة ، أخذت الملاحة البحرية تتقلص شيئاً فشيئاً ، ثم بدأ سقوط الدولة المصرية . وكان أن تسربت الصناعة والتجارة والملاحة البحرية من أيدي المصريين الى غيرهم من الأجانب . ثم ما كان القرن العاشر قبل ميلاد المسيح ليبتدىء ، حتى اختفى الأسطول التجاري

قطع العصب تذهب الالم

ان قطع بعض الاعصاب السمبتاوية التي تحتكم في بعض الاحساسات المتصلة بأطراف تؤثر فيها هذه الاعصاب، علاج من أنجع العلاجات التي تقف بعض الآلام العصبية المحرقة : Causalgia وهي من أشد الآلام التي يشعر معها المصاب ان بأعصابه احتراقاً مؤلماً شديداً . وقد نشر ذلك في صحيفة الجمعية الطبية الاميركية ، طبيبان من جراحي الجيش . فقد ذكر الكابتن جوشوا سبيجل والكابتن جاك ميلوفسكي ، ان هذا الالم العصبي قد يحدث عقيب جراح تصيب بعض الجنود . فأجروا لستة جنود عملية قطع العصب السمبتاوي المتصل بالجزء المتألم ، فزال الالم . اما السبب الذي يحدث هذا الالم، فليس معروفاً معرفة تحقيق .

المصري من البحار . وفي أسطورة مصرية قديمة وصف لهذه المأساة مريع . ومن ثمّ انتقل زمام البحر الى الفينيقيين . ولكن لم ينم أهل مصر على ذلك ، بل حاولوا السيطرة على البحار مرة أخرى ، وقطعوا في ذلك خطوات موفقة قبيل ميلاد المسيح . إلاّ أن عوامل مختلفة أحبطت أعمالهم . وليس هذا مقام الاسترسال في بحث ذلك ، ولا من أجله كتب هذا المقال ، وانما أردت أن أبين ما طبع عليه اهل مصر من حبهم البحار ، وما كان لهم من شأن في الملاحة البحرية ، وكيف تمت لهم سيادة البحار ، وإذا ذكرت هذا كله ، فلكي نؤمن بأن بدايتنا الجديدة في الملاحة البحرية قد تقودنا الى سيادة البحار مرة أخرى ، لو اتعظنا بماضي تاريخنا ، وسرنا بنفس الحزم وفي نفس الطريق الذي جعل من المصريين سادة للبحار .

ابراهيم ابراهيم يوسف

﴿ المراجع ﴾

I — A. Kocster ; Seefahrten der atten Aegypter
II — Ermann; Geschichte der Alterhum, Aegypter
III — Brestead; History of old Egypt.
IV— Eduard Meyer; Egyptische Geschich
V— عبد القادر حمزة : على هامش التاريخ المصري

عين زبيدة

في مكة

١ – لمحة تاريخية

إن مجرى عين زبيدة عمل هندسي جليل جمع بين العظمة والبساطة ، تُجمع بواسطة مياه الأمطار التي تهطل في وادي النعمان أو على قمم الجبال المحيطة به في قناة مبنية . ومبدأ القناة في بطن وادي النعمان ، ثم بعد مرورها بوادي عرفات والمزدلفة واقترابها من مِنىً ، تتجه نحو مكة وتتفرّع فيها ، فيستقي منها الحجاج في أيام الحج . وأما أهل مكة فهي بين أيديهم طوال السنة .

ويرجع الفضل في انشائها إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. وقصة ذلك أن السقاية — وهي السهر على تمتع الحجاج بكفايتهم من الماء — كانت من مفاخر العرب ، إذ كانوا يتسابقون الى تولي أمرها . وقد تناقلتها بيوتات قريش إلى أن أبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني العباس . فلما جاءت السيدة زبيدة إلى الحج ورأت ما يعانيه الحجاج وأهل مكة من المتاعب في الحصول على المياه التي كانت تُجلب على ظهور الدواب من الآبار العميقة، أمرت بالبحث عن موردٍ للماء غزير وعذب . فأرشدت إلى عيونٍ عدة في وادي حنين كانت ترويه . فأمرت أن تُشترى تلك العيون فيُحول ماؤها إلى قناة واحدة تجري حتى قلب مكة . ولكن القناة لم تكن تمر بمشاعر الحج (عرفات والمزدلفة ومنى) فرأت السيدة زبيدة أن تأمر ببناء مجرى آخر لإمداد المشاعر بالمياه ، فأنشئت سنة ١٨٠ هـ عين النعمان من طرف جبل كَرَى من جبال الطائف حتى مكان قريب من جنوب منى . ولم يمكن إيصالها إلى مكة لوجود صخر صلب في طريقها يتعذر نقره .

وقد تعهد هذا المجرى الحكامُ من خلفاء الأمم الإسلامية وسلاطينها بالترميم والتعمير واستمرّ الماء يجري فيها حتى الدولة العثمانية (سنة ٩٢٣ هـ) فأُهملت العيون فتهدمت وجفّ ماؤها (سنة ٩٣٠ هـ) وعاد الناس الى أخذ الماء من الآبار . ثم لجأوا إلى السلطان سليمان القانوني (سنة ٩٦٩ هـ) فأمر بتعمير عين النعمان ، وإنشاء قناة جديدة (سنة ٩٧٩ هـ)

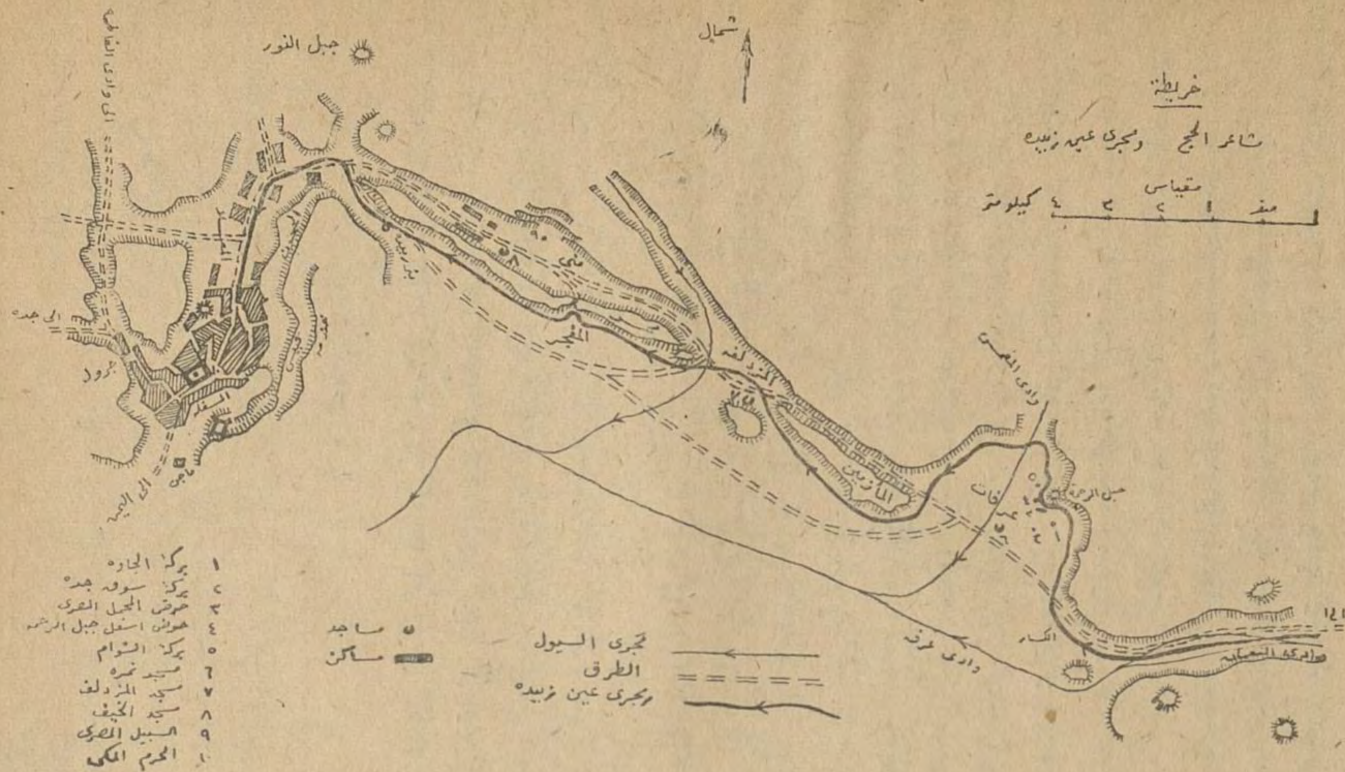
خريطة
مشاعر الحج ومجرى عين زبيدة
مقياس
صفر ١ ٢ ٣ ٤ كيلومتر
شمال
جبل النور
الى وادي الفاطمه
الى جده
جرول
المعلا
ماجن
الى اليمن
منى
المحجر
المزدلفه
وادي النعمن
عرفات
جبل الرحمة
الكار
وادي عرنه
وادركة النعمانيه
الى الطائف
١ بركة الجاوه
٢ بركة سوق جده
٣ حوض الجبل المصري
٤ حوض اسفل جبل الرحمه
٥ بركة الشوام
٦ مسجد نمره
٧ مسجد المزدلفه
٨ مسجد الخيف
٩ السبيل المصري
١٠ الحرم المكي
مساجد
مساكن
مجرى السيول
الطرق
مجرى عين زبيده

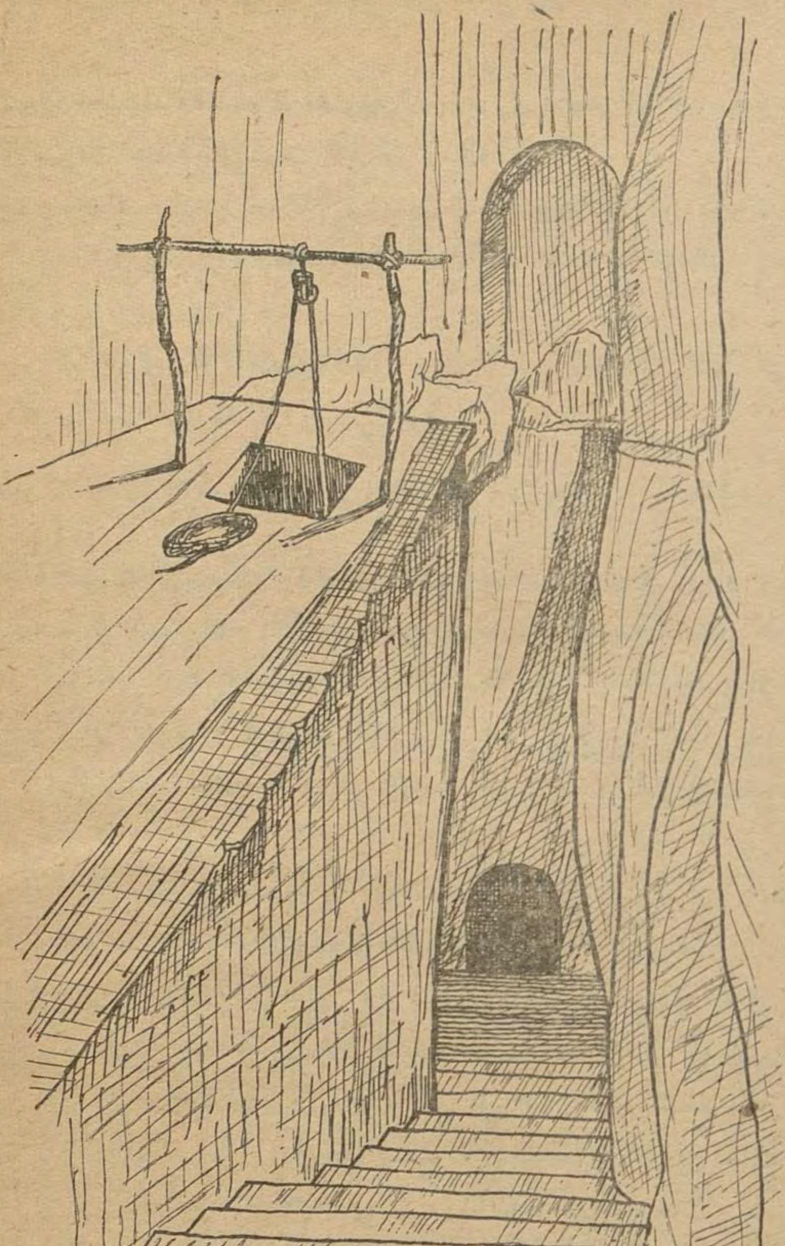

شكل يبين سحب الماء من الدبل « المجرى » في حالة سحق العمق

لا يصال الميـاه إلى مكة تمر في جوف الصخر الذي أمكن حفره بايقاد نيرانٍ على سطحه لكي يتشقق .

وأهملت عين حنين بعد ذلك ، وأصبحت عين النعمان تروي المشاعر الثلاثة ومكة ومساحات قليلة من الأراضي الزراعية ، وهي تسمى الآن عين زبيدة .

وقد تراوح الخراب والتعمير هذا المجرى بسبب السيول والزلازل أو الاهمال، ثم بفضل العناية تبعاً لتغير الحكام واختلاف نزعاتهم، حتى تألفت لجنة للإشراف على العين وموالاتها بالإصلاح والتوسيع (سنة ١٢٩٥ هـ) .

ولما دخلت البـلاد في حكم الملك ابن السعود (١٣٤٣ هـ) أيّـد الملك اللجنة التي كانت موجودة وحملها على صيانة مآخذ الماء ومباني المجرى .

٢ — طريقة إسالة الماء في المجرى

ليست هذه العين نبعاً طبيعيًّا فتندفق من أعالي الجبـال لتجري في الشعاب والأودية وتكوّن الأنهار ، بل هي من تدبير الانسان بتسخيره للموارد الطبيعية وتذليلها لارادته . فوادي النعمان تحيط به جبال شامخة أحجارها صوانية تهطل عليها الأمطار فتسيل إلى الوادي وتغور في رماله الكثيفة إلى أن تصل إلى طبقة صخرية لا تستطيع المياه أن تنفذ منها ، فتمتصها الرمال في الطبقات السفلية ثم تنحدر بطبيعتها بحسب الميـل الذي في سطح الطبقة الصخرية .

فان حفر في الرمال حتى تبلغ الطبقات الرملية الممتصة للمياه وأنشىء مجرى (« الدبل » في لغة الحجاز) قاعه منحدر وجوانبه مفرغة اللحامات ، فان الماء يتسرب من الرمال الى داخل « الدبل » ويجري فيه جهة الانحدار . وإن ألحقت بالمجرى فروع متشعبة في جهات الوادي (وهذه الفروع في لغة الحجاز يقال لها شحاحيت) زاد مقدار الماء المتسرب الى « الدبل » . ثم ان جعل قدر الانحدار في المجرى أقل من قدر انحدار سطح الماء الجوفي بلغ « الدبل » نقطة يلتقي فيها بأعلى منسوب لسطح الماء ، فيدخل في الرمل الجاف . وان أنشىء « الدبل » من بناء أصم بعد ذلك أمكن تسيير الماء وتوجيهه الى حيث يراد . وهذه هي الطريقة المستعملة في أنحاء الحجاز لجمع المياه من بطون الأودية وجلبها للبلاد (وتسمى «العيون») . وهي نفس الطريقة التي تجمع بها مياه وادي النعمان فتجري في « الدبل » مارة بالأودية وفي سفح الجبال، الى ان تصل مكة ، وعين الزرقاء بالمدينة المنورة يجمع ماؤها بهذه الطريقة أيضاً .

عبن الطبيعة

وقعت حادثة لم يسمع بمثلها في تاريخ الطب في أميركا ، هي حادثة ميلاد طفل سوي حي تكون أثناء تخلقه خارج أعضاء أمه التناسلية. ولقد روى هذه الحادثة طبيب من لوس انجيليس ونشرتها صحيفة شيكاغو صن . حدث ذلك في مستشفى انفيلوس . والأم هي مدام بيسي ووكر ، عمرها ٢٣ سنة ، وابنتها المولودة اريس جان وزنت سبعة أرطال ونصف عند ولادتها . ووصف دكتور ر . ب جنكنس حالة هذه الوضع بأنها « حمل بطني خارج الرحم » فقال ان الجنين لم يتخلق في الرحم أو القنوات الفلوبية ، بل في تجويف البطن ، حيث أفسحت له الطبيعة مكاناً الى جانب جهاز الأم الهضمي . والظاهرة الشاذة استكشفها دكتور جنكنس عند ما استعد لاجراء العملية القيصرية لينقذ الطفل ، وكان قد مر عليه ٢٣ يوماً أزيد من الزمن الحملي .

ولكن الاطباء المساعدين أخذوا بالعجب مما رأوا . فان الرحم كان في حالة سوية وليس بها أي أثر من آثار التأثر بالحمل . وزاد عجبهم عند ما برز اليهم الطفل صارخاً بقوة غير معهودة . ولكن مشكلتهم الكبرى انحصرت في كيف وجدت البيضة الملقحة طريقها من القناة الفلوبية مخترقة جدار البطن الضيق الى جزء من الجسم لا يمكن الوصول اليه إلا بعملية جراحية . ثم مشكلة أخرى ، كيف اغتذى الجنين أثناء الحمل

قال دكتور جنكنس : « من أجل ان ذلك الكيس الذي يحوي كل جنين قبل الولادة كان مملوءاً بجالون كامل من الدم ، بدلا من الماء ، أعتقد أن الطبيعة قد أعدت للجنين دورة دموية خاصة جرت بين ذلك الكيس والام ، وان الجنين غذي بطريقة النضح أو الامتصاص من البيئة الدموية التي أسعفت بها الطبيعة ذلك الكائن في عزلته تلك .

لا بد من أن الطبيعة تكون قد احتاطت فبذلت جهدها في الاحتفاظ بحياة الام وحياة الجنين معاً . فان الكيس الذي حوى ذلك الدم كان أكثر صفاقة وتماسكاً من المعتاد. ولو انه انفجر في جوف الام ، اذن لقتلها بسرعة . ولقد أدلى دكتور جنكنس بهذا الامر الى زملائه الاطباء في جمعية كاليفورنيا الطبية ، فقرروا بالاجماع ان هذه الحالة فريدة في بابها وانهم لم يعهدوا لها نظيراً .

وقد يجري الدبل في جوف الأرض في أعماق سحيقة أو دانية ، فتشق في أعلاه فتحات على مسافات مختلفة تتصل بسطح الأرض ببناء أسطواني كبناء الآبار (يسمى « خرزات ») . وهي لازمة للتهوية أو للوصول الى « الدبل » لأجل التنظيف او الترميم .

وقد يجري الدبل على سطح الأرض فيجعل له سقف به فتحات يؤخذ منها الماء ، ويعمل له فروع تصب في خزانات أو صهاريج يستقي منها الناس .

عثمان رفقي رستم

كبير مهندسي مصلحة الآثار المصرية

حق غريق

في بحر من الباطل

لأمر ما يطيب لبعض الناس أن ينتحل أقوالاً يعزوها لغيره ، أو يبدع من نسج خياله صوراً لا تمت إلى واقع الأمر بصلة، ثم لا تلبث هذه الأقوال او هذه الصور ان تأخذ على توالي الأيام عند بعض الناس صفة الحقيقة، فينقلها مفترضاً صحتها من غير ان يتعرض لها بتحقيق او على الأقل يقدمها في ثوب من الحيطة والحذر كما تقضي الأمانة العلمية .

ومن ذلك ما وقع فيه ابن ابي اصيبعة في كتاب طبقات الأطباء نقلاً عن اسحاق بن حنين خاصاً بنَطافورس بن الملك روفسطانس وارسطوطاليس اليتيم مما سيأتي ذكره. وأثبت أستاذنا الجليل حضرة صاحب المعالي احمد لطفي السيد باشا في تصديره لكتاب الأخلاق لأرسطو انه منتحل بقوله :

« والواقع ان أرسطو لم ينتقل مدة الطلب من أثينا ، وكانت أثينا طوال ذلك الحين جمهورية ليس فيها ملك، فيأمر أفلاطون بتعليم ابنه، ولا ابن ملك ليعلمه أفلاطون فيتلقف أرسطو، الذي جعلته هذه القصة خادماً ما كان يلقيه الاستاذ على ابن الملك، كل ذلك لم يكن، بل لم يكن منه إلا شيء واحد هو ان الشاب أرسطو ذكي مجتهد . وهذا حق غريق في بحر من الباطل،

وبعد : فأقدم القصة نفسها نقلاً عن كتاب طبقات الأطباء نفسه مردفة بمقالة ارسطو » او المنسوبة إلى أرسطو في ذلك اليوم . وإني إذ أنشر بعد القصة هذا المقال الممتع حقاً ، والذي هو من عيون الأدب الرفيع بلا نزاع ، لا اقصد من نشره التعرض له من جهة الباعث الذي حمل اسحاق اوغير اسحاق على إسناد هذا القيل الى ذلك الاسم الضخم، اسم ارسطوطاليس، وانما مقصودي من هذا النشر هو أن أسهل الاطلاع على هذا المقال الممتع لمن يحب أن يروّض نفسه في سلوكه على ضوء ما فيه من حكم وآداب . ولمن يحب أن يلقح فهمه بهذه النتائج الباهرة ، أضع بين يديه هذه المادة الغزيرة ضاناً بها على من سوف يقرؤها لمجرد التسلية. من غير ان يأخذ نفسه بالرياضة عليها، فقد كان أرسطو يرى والحق ما يراه انه لا فائدة من العلم بما هي الفضيلة علماً نظرياً دون رياضة النفس على حيازتها واستعمالها. واليكم الآن القصة وما سطّر حنين من إجابة لأرسطوطاليس في ذلك اليوم .

اتخذ روفسطانس الملك بيتاً للحكمة وفرشه لابنه نطافورس وأمر أفلاطون بملازمته

وتعليمه، وكان نطافورس غلاماً متخلفاً قليل الفهم بطيء الحفظ ، وكان أرسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سمت به همته الى خدمة أفلاطون الحكيم، وكان ذكياً فهماً جاداً معبراً. وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والآداب فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان أرسطوطاليس يتلقف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سراً من أفلاطون ويحفظه، وأفلاطون لا يعلم بذلك من سر أرسطوطاليس وضميره، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب (١)

وألبس نطافورس الحلى والحلل وحضر الملك روفسطانس وأهل المملكة وأفلاطون وتلاميذه. فلما انقضت الصلاة صعد أفلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد الغلام نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق بحرف من الآداب فأسقط في يد افلاطون ، واعتذر الى الناس بأنه لم يمتحن عده، ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته، ثم دعا من ينوب عن نطافورس من تلاميذه فقام ارسطوطاليس وصعد الدرج بغير زينة ولا استعداد في اثوابه المبتذلة ، فهدر كما يهدر الطير وأتى بأنواع الحكمة والأدب الذي ألقاه أفلاطون الى نطافورس لم يترك منه حرفاً فقال افلاطون للملك : هذه هي الحكمة التي لقنتها نطافورس قد وعاها أرسطوطاليس سراً فما حيلتي في الرزق والحرمان . وكان الملك في ذلك اليوم يرشح ابنه للملك فأمر باصطناع أرسطوطاليس ولم يرشح ابنه للملك وانصرف الجمع في ذلك عن استحسان ما أتى به أرسطوطاليس والتعجب من الرزق والحرمان .

مقالة أرسطوطاليس وما نُسبَ اليه في ذلك اليوم

لبارئنا التقديس والاعظام والأجلال والاكرام .

أيها الاشهاد : العلم موهبة الباري ، والحكمة عطية من يعطي ويمنع ، ويحط ويرفع ، والتفاضل في الدنيا والتفاخر هما بالحكمة التي هي روح الحياة ومادة العقل الرباني العلوي .

أنا اروسطوطاليس ابن فيلوبيس اليتيم خادم نطافورس ابن الملك العظيم . حفظت ووعيت والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الأسباب .

أيها الاشهاد : بالعقول تتفاضل الناس لا بالأصول ، وعيت عن افلاطون الحكيم : الحكمة رأس العلوم ، والآداب تلقيح الافهام ونتائج الأذهان ، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي العازب ، وبالتأني تسهل المطالب ، وبلين الكلم تدوم المودة في الصدور ، وبخفض

---

(١) يقال ان الملوك من اليونانية وغيرها كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة في بيوت الذهب هذه وكانت هذه البيوت تزين بالصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها فاذا حفظ المتعلم من أولاد الملوك علما أو حكمة أو أدباً صعد على منبر في يوم العيد أمام أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة فيتكلم بالحكمة التي حفظها على رءوس الاشهاد وعليه التاج وحلل الجوهر. وبعد ذلك يعد حكيما على قدر ذكائه وفهمه

الجناح تتم الأمورّ ، وبسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور ، وبحسن الصمت جلال الهيبة ، وباصابة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يجب التواصل ، وبالتواضع تكثر المحبة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالافضال يكون السؤدد ، وبالعدل يقهر العدو ، وبالحلم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل ، وبحسن الاعتبار تضرب الأمثال ، والايام تفيد الحكم . يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن الساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبحلول المكاره ينتقص العيش وتتكدر النعم ، وبالمنّ يكفر الاحسان ، وبالجحد للانعام يجب الحرمان ، صديق الملول زائل عنه ، السيء الخلق مخاطر صاحبه ، الضيق الباع حسير النظر ، البخيل ذليل وإن كان غنيًّا والجوّاد عزيز وان كان مقلاًّ ، الطمع الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر ، لا أدري نصف العلم ، السرعة في الجواب توجب العثار ، التروّي في الأمور يبعث على البصائر ، الرياضة تشحذ القريحة ، الأدب يغني عن الحسب ، التقوى شعار العالم ، الرياء لبوس الجاهل ، مقاساة الأحمق عذاب الروح ، الاستهتار بالنساء فعل النوكي ، الاشتغال بالغائب تضييع الأوقات ، المتعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التمني سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتمحيق المحنة ، صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس ، من زاد علمه على عقله كان علمه وبالاً عليه ، المجرب أحكم من الطبيب ، إذا فاتك الأدب فالزم الصمت . من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل ، من تأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورّط ، من تفكر سلم ، من روى غنم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك . التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة ، للعادة على كل أحد سلطان ، وكل شيء يستطاع نقله الاّ الطباع ، وكل شيء تتهيأ فيه حيلة الاّ القضاء ، من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من حظ البلاغة بالايجاز ، يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، من وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم درك ذلك كان مغموراً بالجهل ومفتونًا بعجب الرأي . ومعدولاً بالهوى عند باب التثبت ، ومصروفاً بسوء العادة عن تفضيل التعليم ، الجزع عند مصائب الاخوان أحمد من الصبر وصبر المرء على مصيبته أحمد من جزعه ، ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقامة على الظلم ، من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة الى العطب . الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل»

تلك هي القصة وهذه هي المقالة ولعلي بنشرها أصادف مَنْ نفسه مستعدة لهذه الكلمة ملاءمة لها فتهدى بهديها ، وهذا آخر غرضنا من نشرها والسلام .

منصور رجب

المدرس بكلية أصول الدين

الرأي العام الاجتماعى

وكيف نكوّنه في مصر

تكوين الرأي العام سواء أكان سياسيًّا أم اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا، يجب أن يجري على أسلوب واحد وبأسباب سيكاوجية واحدة ولغاية واحدة، هي خير الأمة ورقيها بايجاد وجدان يقظ لتطورها وسعادتها .

والرأي العام بالطبع هو الرأي الناطق، أي رأي المتعلمين الذين يستطيعون درس الحوادث ويستطيعون أيضاً التكلم فيها . وهذان الشرطان ضروريان لايجاد رأي عام مهما كان نوعه .

١ — القدرة على الدرس بتوافر الوسائل للتعليم والاستنارة .

٢ — والقدرة على الافصاح بتوافر الوسائل للتعبير عن الرأي .

وإذا فقدنا أحد هذين الشرطين فقدنا الرأي العام . ففى الأمم الدكتاتورية مثلاً وسائل لاتحصى للتعلم كالمدارس وغيرها . ولكن أفراد هذه الأمم يحال بينهم وبين التعبير عن آرائهم، ولذلك لايمكن أن يكون لهم رأي عام. وكذلك تجد في الأمم الجاهلة التي لم تنتشر فيها وسائل التعلم، حرية في التعبير عن الرأي، ولكن هذه الحرية لا قيمة لها ولا انتفاع بها للجهل المخيم على العقول . ولذلك ليس لها رأي عام وكثير من الأمم الأسيوية على هذه الحال، لأن الأمية تتفشى فيها .

ولا عبرة بالقول بأن الأمة حرة في التعبير عن آرائها اذا كانت جاهلة لأن الرأي لا يتكوّن الاّ بالمعرفة بوسائل النشر في جرائد ومجلات ومحطات اذاعية وكتب ومجالس الخ .

ولهذا السبب يمكن أن نقول إن الرأي العام في مصر ليس رأياً عامًّا ، وانما هو رأي خاص، لأن الرأي الناطق، الرأي المتعلم الذي وصل الى المعرفة لايزيد اصحابه على نحو ١٠ أو ١٥ في المئة من مجموع الأمة، بل ربما كانوا أقل من هذا، وهم أولئك الذين تعلموا في مؤسسات التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية كلها أو بعضها . أما خريجو التعليم الالزامي فلا أستطيع أن أقول إنهم متعلمون وإنهم وصلوا من المعرفة حدًّا يسمح لهم بتأليف رأي عام في شؤوننا الاجتماعية أو الاقتصادية . فهم والأميون سواء من هذه الناحية .

الرأي العام في مصر هو رأي ١٠ أو ١٥ في المئة من الأمة . رأي أقلية صغيرة منعزلة

رأي خاص . فاذا شئنا إيجاد رأي عام ، فلا مفر من أن نعلم الأمة كلها تعليماً عصريًا بحيث يستطيع خريجو هذا التعليم أن يدرسوا مشكلات مصر بالروح العصري في ضوء القيم والاعتبارات العالمية . وهذا أمل لا يزال بعيداً . ولكن ليس معنى هذا أن ننفض أيدينا ونقول : ليس عندنا رأي عام فلا يجدينا بحث هذا الموضوع . لأن الواقع أن هذه الأقلية تقوم بتكوين الرأي العام لأن جمهور الأميين، يسير خلفها ويرضى — من حيث يدري أو لا يدري بحكمها .

والمفهوم من الموضوع الذي نتحدث عنه أننا نرغب في رأي اجتماعي حسن ونبحث الوسائل التي تؤدي الى تحقيقه . فما هو الرأي الاجتماعي الحسن ؟

الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ١٩٤٤ هو غير الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ١٨٤٤، وهو غير الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ٢٠٤٤ لأننا لا نستطيع أن نتخيل « الحسن » مطلقاً غير مقيد بزمان أو مكان . وقصارى ما نقول فيه إنه شعور اجتماعي حسن أو انه عواطف اجتماعية بارة ، أو إنه اتجاه إلى الخير في جمهور الأمة المستنير ، ثم فوق ذلك رغبة في تحقيق هذا الخير .

ولسنا في حاجة الى أن نشرح ما هو خير الأمة لاننا إذا تقيدنا بالزمان والمكان عرفنا هذا الخير . اما إذا تطوّحنا في الغيبيات عن الخير المطلق فاننا لن نعرفه، او لن نتفق على ماهيته . ومع ذلك نستطيع أن نقول إن صحة الأجسام واستنارة العقول ووفرة المساكن والملابس الصحية كلها خير لا نختلف فيه ، ولكننا نختلف مثلاً في ماهية العائلة الحسنة أو التعليم الحسن ، بل أحياناً نختلف في منفعة الحروب وضررها ، بل منا من يعتقد أن الفقر مفيد لبعض الناس، وإن العلاج الناجع للجريمة، ليس سوى السجن والمشنقة.

و الرأي العام الاجتماعي « الحسن » يجب أن تكون له رؤيا وأن يستنير ببصيرة مثقفة في كل هذه الشئون. والرؤيا والبصيرة كلتاهما تتكوّنان بالمعرفة العصرية المقيدة بالزمان والمكان.

والمعارف هي المواد الخام التي يتألف منها الرأي العام . وقسم كبير من هذه المعارف، بل أحياناً أصولها نتناولها من المدارس والجامعات . فإذا اختلفت هذه المدارس والجامعات في المعارف التي تعلمها لتلاميذها وطلبتها، فان الرأي العام يجب أن يختلف . وإذا كان الاختلاف بين أكثرية وأقلية فان هذا الاختلاف ينفع لأنه يعود بمثابة السم القليل الذي ينبه ولا يقتل . ولكل أقلية لهذا السبب مهمة اجتماعية حسنة إذ لا ضرر على الجسم الاجتماعي من قليل من الزرنيخ بل هو يتقوى به . ولكن إذا كان الاختلاف بين طائفتين متساويتين أو تتقاربان للمساواة، فانه، أي الاختلاف يضر، لأنه يشق الأمة فيكون كذلك الاختلاف الذي

ينشأ من فريقين متساويين في البرلمان يمنع كل منهما الآخر من العمل . وهذا هو ما نرى آثاره أحياناً في شئوننا الاجتماعية بين فريق المتعلمين مثلاً في الجامعة الأزهرية وبين فريق المتعلمين في جامعة فؤاد الاول، دون انتقاص لاحدى الجامعتين. وحسبنا مسألة خلافية واحدة تدلنا على هذا الانشقاق وهي أيضاً رمز لغيرها من الخلافات . فمن وقت لآخر وخاصة أيام الصيف نسمع رأيين :

أحدهما ينضوي الى مجموعة من المعارف تؤلف ثقافة معينة وتنتهي إلى ايجاد رأي اجتماعي خلاصته أن النساء سيدات وآنسات يتبذلن على الشواطىء ويكشفن من اجسامهن جزءاً كبيراً ، وإن هذا السلوك يخالف تقاليدنا ونحتاج لهذا السبب إلى تقييد الاستحمام بقيود وشروط .

والرأي الآخر يقول إن الاستحمام على الشواطىء يحتاج إلى التشجيع، لأن تعرض المرأة للشمس يمكنها من إدخال فيتامين (د) وهو ضروري للصحة الحسنة، فيجب عليها أن تبقى على الشواطىء أطول ما يمكن من الوقت وأن تكشف من جسمها أكثر ما يمكن . فهنا نظران مختلفان يتساويان في القوة ويحدثان خلافاً يقلقل ويزعزع .

ولكي نكوّن « رأياً عامًّا اجتماعيًّا » حسناً في هذا الموضوع أو في غيره يجب أن نعتبر الزمان والمكان، وإن نعتمد على المعارف العلمية العصرية، ولكن إذا كان جمهور كبير في الأمة يعارض المعارف العلمية العصرية ، ويرفض اعتبار الزمان والمكان ، فان تكوين رأي عام اجتماعي يعود من المشكلات والمشقات الكبرى .

ولنذكر مثالاً آخر وهو التناقض بين رأي اجتماعي قديم ونظام اقتصادي حديث، فنحن في الوقت الحاضر نتألم من الاخبار المحزنة عن تفشّي الملاريا القاتلة في المديريات العليا من الصعيد . وكان أبرز ما في هذه المأساة أن السكان في هذه الأصقاع الموبوءة على غاية من الفاقة حتى قيل ان بعضهم يأخذ الكينين من أطباء الصحة فيبيعه لكي يشتري الخبز ، وحتى ان الحكومة باعتهم الدقيق بنصف ثمنه .

وظروف مصر الحاضرة تنادي بالحاجة الى العمال والأجور عالية ، فكيف يفتقر جمهور كبير من أبناء وطننا الى الطعام .

الجواب سهل وهو ان بعض أبناء الصعيد يلتزمون ثقافة قديمة وآراء بل عقائد اجتماعية لا تتفق وكسب العيش في عصرنا . ففي الوجه البحري تعمل المرأة الى جانب الرجل بلا عيب ولا عار وكلاهما يتكسب، فلا فقر قاتل يؤدي الى الجوع . ولكن في المديريات العليا من الصعيد يأنف الرجل من إن تعمل زوجته أو ابنته أو أخته وتتكسب لأن هذا يعيبه ويشينه.

ولذلك يجب عليه ان يقتسم أجرته معهنّ وهي لا تكفي ، فلا يكون سوى الجوع للجميع ، هو وهنّ ثم المرض ثم الموت ، وهذا هو الآن مأساة الصعيد .

آراء بل عقائد اجتماعية قديمة ، تحول دون الأخذ بالروح العصري . فلكي نكوّن رأياً اجتماعياً حسناً في مصر ، يجب ان نكافح هذه العقائد الاجتماعية .

ويجب ان نقول عقائد اجتماعية وليس آراء اجتماعية ، لأن سكان أسوان وقنا وسوهاج لا يرتأون الرأي عن العرض او عمل المرأة او الثأر ، بل يعتقدون العقيدة . ولكنهم ليسوا مع ذلك شاذين لأن ما نسميه «رأياً عامّاً» في أية أمة مهما بلغت حضارتها ، انما هو مجموعة العقائد العامة أو هو رأي قائم على أسس من هذه العقائد العامة .

وأنا أؤثر عبارة « العقل العام » على عبارة « الرأي العام » لأن العبارة الأولى تنطوي على العقائد والعادات الذهنية والحدود اللغوية التي يتكوّن منها جميعاً «عقل عام» للامة نكاد نتكهن بالرأي الذي تنتهي اليه في حادث معين إذا عرفناها ، أي إذا عرفنا هذه العقائد والعادات الذهنية والحدود اللغوية التي لا يمكن فرداً ان يتحرر منها مهما ظن انه حر وانه لا يبالي المجتمع الذي يعيش فيه .

وتعجبني هنا كلمة جون دوي عن التفاعل بين الفرد والمجتمع . فهو يقول : ان الفرد الى المجتمع كالطفل الى العائلة . فهو يعطي المجتمع من الآراء ويأخذ منه من الآراء أيضاً بمقدار ما يعطي الطفل لعائلته من كلمات الطفولة الجديدة وما يأخذ منها من مئات الكلمات التي يتحدث بها .

فحين نتكلم عن ايجاد « رأي عام اجتماعي » يجب ان نذكر هذا . يجب أن نذكر أننا في أسر عادات ذهنية وعقائد تبدأ من أتفه أعمالنا إلى أجلها . من الأسلوب الذي نتبع في تناول طعامنا الى طريقة التحدث الى مَن هم أكبر منا مقاماً الى ارتياء الرأي من حرية المرأة او ديمقراطية الحكم . وهذه العادات الذهنية مع ما يرافقها من كلمات تحمل كل منها شحنة عاطفية تقرر لنا السلوك الاجتماعي فنغضب أو نسر ونخاطر أو نفر من حيث نعتقد أن عواطف الغضب والسرور والمخاطرة والفرار انما هي جميعها من منبع نفوسنا وليست منعكسة من المجتمع علينا . وليس شك في أن الصعيدي في قنا أو جرجا حين يقتل أخته أو أمه للعرض ، يعتقد أنه حر في هذا الاجراء ولا يمر بخاطره أنه تربى على عادات ذهنية وتعلم ألفاظاً معينة جعلته يرتكب جريمته . ولو أنه كان قد عاش في مجتمع آخر في إحدى مدن الوجه البحري أو قراه ، لما وجد في لفظة العرض هذه الشحنة العاطفية الملتهبة التي يرتكب بسببها نحو ثلاثمائة جريمة قتل في مديريات الصعيد كل عام .

وكلمات اللغة الموروثة والعقائد والعادات الذهنية لا نحسها جميعها، لأنها منا بمثابة العدسة التي ننظر من خلالها الى الأشياء والناس فلا نراها هي . أي لا نرى العدسة التي تكبر أو تشوّه لنا الأشياء والناس . أو بكلمة أخرى نقول أن الشّحنَات العاطفية التي تحملها ألفاظ اللغة والعقائد والعادات الذهنية قد انحدرت الى العقل الباطن فلا نحس المجتمع الذي أورثناها

فحين نفكر في تكوين رأي عام اجتماعي يجب أن نذكر كل هذا، ويجب ألاّ نضحك حين نقرأ أن أحد الزنوج من الكهنة في أفريقيا السوداء يقدم نفسه راضياً بالقتل لأنهُ أحسّ أن بقاءه حيًّا يؤخر المطر وأن موته سينعش الزرع بالغيث . كلانا قد آمن بعقائد مجتمعه وتلبس بها من حيث لا يدري .

ولكن مع كل هذه الصعوبات يجب أن نفكر وندبر الوسائل لايجاد رأي عام اجتماعي حسن . ورأي عام مستنير .

والرأي العام المستنير الحسن يجب أن يكون في عصرنا رأياً عالميًّا لأننا لا نعيش منفصلين عن العالم . فاذا كان قد وسع مصر قبل ٨٠٠ أو ٧٠٠ سنة أن تكون لها عادات قومية وثقافة مصرية ، فلا يسعنا نحن الآن ان نستقل باجتماع خاص يخالف الاجتماع البشري العالمي .

كان العالم قبل ٨٠٠ سنة منفصلة أممه ، قد شطحت المسافات بين كل قطر وآخر . وقد احتاجت جيوش ريتشارد قلب الأسد الى عام كامل لكي تسافر من انكلترا الى فلسطين فكان الانفصال تقرره عوامل جغرافية . أما الآن فيمكن السفر بين هذين القطرين في نصف يوم بالطائرة . فالاتصال بين قطر وآخر والوحدة الاجتماعية لهما ما يبررهما . والنظام الاقتصادي الذي يعم الدنيا سوف يعمم عن قريب نظاماً اجتماعيًّا عامًّا .

وقد اضطررنا في السياسة الى الأخذ بالاتجاه العالمي كما يثبت ذلك انضمامنا الى ميثاق الاطلنطي فأثبتنا بذلك أننا متمدنون عصريون ، قد نقلنا السياسة المصرية من النظر القروي الى النظر العالمي . واجتماعنا — مثل سياستنا — يجب أن يتجه هذا الاتجاه .

ولكن يجب ألاّ ننسى أن الرأي السياسي قد يتغير بسهولة لا نجد مثلها في تغيير الرأي الاجتماعي، عقيدة راسخة تحمل شحنة عاطفية تتصل بالسلوك الجنسي أو القوام الاجتماعي أو الاحساس الديني . ويزاد على ذلك ان ذوي الرأي السياسي — حتى حين يكاد هذا الرأي أن يكون عقيدة — هم أقلية صغيرة مثقفة قد اتسعت آفاقها الذهنية الى حدٍّ ما . فهي تقبل التغير . ولكن العقائد الاجتماعية تفشو بين الأكثرية الساحقة من الأمة . وهي أكثرية غِير متعلمة لم تتدرب أذهانها على الجدل ولم تعرف قيمة الشك فسكان الصعيد الذين

أشرنا اليهم يعيشون بعقائد اجتماعية لها قوة اليقين، ولكن ليس لهم آراء سياسية عن الحرب أو السلم أو التغيرات المنتظرة منهما .

ومهمة الأقلية المثقفة في مصر أن تغير العقائد الاجتماعية عند هذه الأكثرية . ومع أن هذا مجهود شاق فانه واجب، بل هو رسالة يحملها كل مصري مثقف . واذا كان اسماعيل باشا قد استطاع أن ينير الأمة وينقلها من الشرق الى الغرب وان كان قد أدّى الثمن باهظاً . فاننا نستطيع أن نسلك سبيله وخاصة أننا نعرف أن مسافة غير قصيرة قد قطعت . فقد استطاع اسماعيل ان يؤسس المدارس للبنات وان يدخل قانون نابليون وأن يوجد نظاماً عصرياً للحكومة، بل انه غير الزي الشرقي فأحاله الى زي غربي . ويجب ألاَّ ننتقص هذا الاصلاح الأخير ، لأن الزي الذهني كثيراً ما يتبع الزي الجسمي .

لقد وجد اسماعيل الأمة وهي على مستوى الظلام الذي كانت تعيش فيه أيام القرون الوسطى فأيقظها وأنعشها وبعثها أمة عصرية اوكالعصرية. فهمتنا دون مهمته وواجبنا أخف من واجبه . ولكن يجب ان نذكر انه اول من حاول تغيير العقائد الاجتماعية وقد غيرها وأعظم محاولة قام بها مصري بعد اسماعيل في تغيير العقائد الاجتماعية هو بالطبع قاسم امين .

ولكن « العقائد الاجتماعية » هي كما قلنا عقائد وليست آراء فهي تحتاج لكي نغيرها الى كثير من التكرار والايحاء والقدوة . ذلك لاننا لن نستطيع ان نغير عقائد الجمهور ونحمله على الاصلاح في العائلة والزواج والطلاق والتعليم والعمال والنظام الديمقراطي للحكومة والمجتمع الاّ بعد مجهودات متكررة في الدعاية بالكتاب والصحيفة والراديوفون والسينماتوغراف والمسرح . ولهذين الأخيرين قوتهما الايحائية العظيمة وقدرتهما على تغيير العقائد . ولكن يجب أن يكون الى جنب هذا حكومة يقظة نيرة تنتهز الفرص لحمل البرلمان على سن القوانين التي تنقح وتغير في العادات الاجتماعية اي تفعل ما فعله اسماعيل بدون برلمان، بل بدون دعاية سابقة من أي نوع .

في أيام اسماعيل سبقت الحكومة الرأي العام وأصلحت اصلاح المستبد، ولكن ليست هذه حالنا الآن، ولسنا نحب ان تعود . على ان هناك اشياء في وقتنا سبق فيها المجتمع الحكومة كما نرى مثلاً في اصلاح الوقف وفي غيره فان الحكومة هي المتخلفة والمجتمع هو المتقدم . وقد نضج للاصلاح، ولكنها لا تلبي ولا تعجل .

وكما استطاعت الأقلية المستنيرة ان تقنع المجتمع بضرورة اصلاح الوقف وان تحمل الحكومة على ان تتهيأ — في بطء — لهذا الاصلاح كذلك تستطيع هذه الأقلية التي تتولى توجيه الرأي العام أن توحي العقائد الاجتماعية الجديدة او «تكوّن رأياً عاماً اجتماعياً»

وهذا الذي نقول هو ما فكرت فيه بالفعل هذه الاقلية المستنيرة حين أنشئت وزارة الشئون الاجتماعية ثم ألحقتها بمجلة الشئون الاجتماعية . ففي أواخر سنة ١٩٣٩ دعيت الى التحرير بهذه المجلة فلبيت الدعوة في رغبة حارة لأن اجعل منها دعاية اجتماعية عصرية ورأيت أن خير ما يجب ان اقوم به أن أنقل القارىء من النظر القروي للاصلاح الى النظر العالمي . وذلك بأن اعرض طرق الاصلاح التي اتبعت في امم اوربا وأميركا المتمدنة اي ان المجلة تعود سجلا دائماً او معرضاً وافياً للاصلاحات الاجتماعية في سويسرا وأسوج ودنمرك وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها في كل ما يتعلق بالتعليم والأسرة والزواج والطلاق ورعاية الأطفال والرقي الصحي والكفالات الاجتماعية للعامل وبناء المساكن ومعالجة الجريمة ونظم الضرائب التدريجية والاتجاهات الصناعية الى غير ذلك .

ورأيت ان في عرض هذه الاصلاحات مجردة بلا دعوة الى التقليد ايحاء حسناً يبعث الاقلية المستنيرة على التفكير في اصلاح وطننا بتوجيهات اجتماعية جديدة . والواقع اننا لا نحتاج الى الابتكار في التطور الاجتماعي كما لا نحتاج الى الابتكار في التطور الصناعي او المالي . لأن تخلفنا او وقف رقينا منذ ايام اسماعيل يجب ان يحملنا على الاسراع في درس الاصلاحات الاجتماعية في الامم المتمدنة التي لم يسء حظها كما ساء حظنا ، ولم يقف تطورها كما وقف تطورنا ، فما علينا لا يزيد على النقل مع التنقيح او بلا تنقيح . وغايتنا واضحة وهي الغاية التي رسمها اسماعيل حين قال « لم تعد بلادي من افريقيا انما هي الآن من اوربا » .

***

فلكي نكوّن رأياً اجتماعيًّا عامًّا في مصر يجب قبل كل شيء ان نجعل الاقلية المستنيرة تتجه نحو الغرب ، وان نجعل من شرح الاصلاحات الاجتماعية هناك مادة أولية نصنع منها ونصوغ اصلاحاتنا . وهذا الاتجاه يحملنا على مكافحة أشأم لفظة في مصر في وقتنا وهي القول بأننا أمة شرقية . فان هذه اللفظة قد أحدثت في بعضنا عقدة نفسية تجعلنا نقف معارضين مناوئين ، ليس للاصلاحات الأوربية فقط بل للمعيشة العصرية ، كأننا لسنا من البشر المتمدنين . وهذه العقدة تتخلل مجتمعنا كما لو كانت سرطاناً يمتد ويتفرع فيجب مثلاً ألاّ تستحم السيدات والآنسات لأنهنّ شرقيات . ويجب ألاّ تتعلم المراة التعليم الجامعي لأنها شرقية . ويجب ألاّ نؤمن بهذا الاصلاح ولا نصطنع هذه العادات لاننا شرقيون لنا تقاليدنا الخاصة الخ .

ولو أن اسماعيل باشا كان قد اتجه هذه الوجهة وقال مثل هذا القول لبقينا الى الآن في

أسر الظلام . ظلام القرون الوسطى . فالرأي العام الاجتماعي الذي نحتاج إليه هو الرأي العام العصري، الرأي العام العالمي الذي يعم عالم المتمدنين في هذا الكوكب . وقد انضممنا الى ميثاق الاطلنطي في الحقوق الأساسية . وبودي لو يخترع ميثاق اطلنطي آخر في الحقوق الاجتماعية تنضم إليه ونشارك به المتمدنين في رفاهيتهم . ومع ذلك فاننا يجب ألاّ نهمل القيم الاجتماعية في الميثاق القائم . وأكبر ما في هذا الميثاق شأناً من حيث القيمة الاجتماعية هو الحريات الاربع ، إذ أن إحدى هذه الحريات هي التحرر من العوز ، وهي تنطوي على كثير من الحقوق الاجتماعية .

وكلاهما، أي ميثاق الاطلنطي والحريات الاربع، يرمزان إلى المستقبل. فنحن نتجه وجهة عالمية وسوف نتكلم بلغة واحدة في الاصلاح الاجتماعي . بل منا الآن طبقة صغيرة العدد ولكنها تنمو وتتكاثر وتنظر هذا النظر في الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وأفراد هذه الطبقة يؤلفون في مصر الرأي العام المستنير المتطور . ومعرفتهم بالمجتمعات الراقية في أوربا وأميركا يجعل وجدانهم بمساوىء مجتمعنا عميقاً موجعاً . وهم لذلك صوت صارخ وسخط لا ينقطع على أحوالنا . ومن هنا الكراهة التي يكتسبون من بعض الفئات الراكدة الجاهلة المستقرة، أولئك الذين لا يدرون أن الرجل المهذب في عصرنا هو الرجل العالمي، والمجتمع المهذّب هو المجتمع العالمى

ولكي نكوّن رأياً اجتماعيّاً في مصر يجب ان تجد هذه الطبقة المستنيرة في الأمة الحرية في الدعاية الاجتماعيَة ، كما يجب على افرادها ان يحسوا مسؤوليتهم الشاقة السامية وينشطوا إلى انجاز التزاماتهم ، ويجب ان يكون لهم اثر في الجريدة والمجلة والكتاب والراديوفون والسينماتوغراف والمسرح .

وللتلخيص أقول .

١ — ان الرأي العام هو على الدوام رأي خاص ، لانه رأي فئة صغيرة قد حصلت على المعرفة المستنيرة مع القدرة على التعبير . وهذه الفئة الصغيرة تقود جمهور الأمة . وحال التعليم في مصر يجعل هذه الفئة صغيرة جدّاً .

٢ — الرأي العام الناضج يحتاج الى شيئين : هما المعرفة والحرية . فيجب ألاّ نضع أية عقبة في سبيلهما .

٣ — الرأي العام يختلف باختلاف المعرفة . لأنها هي المادة الأولية التي يتألف منها الرأي . فالرأي الذي يرتئيه خريج الأزهر لا شك مختلف عن الرأي الذي يرتئيه خريج جامعة فؤاد ، لأن المعرفة مختلفة .

٤ — إذا كان الاختلاف بين أقلية وأكثرية فهو مفيد، لأنه لا يشل الأكثرية عن العمل ولكنه ينبهها ويحفزها . فان الاختلاف بين طبقتين متساويتين في العدد والمكانة مضر لأنه يشل الأمة كلها عن الاصلاح . وبخاصة إذا كانت المعرفة التي اوجدت هاتين الطبقتين تختلف في الأصول إحداهما شرقية تقليدية، والأخرى عصرية علمية . لأن التصادم هنا مرجح والتسوية شاقة .

٥ — كثير من متاعبنا في مصر يعود إلى أننا نقول شرق وغرب . وذلك الصعيدي الذي يستنكر استخدام بنته أو أخته أو زوجته ويكلف نفسه اطعامهن مع عجزه ، انما يلتزم ثقافة شرقية لم تعد تليق بالعصر الحديث . ومهمة الطبقة التي حصلت على المعرفة والتي تنشد في مصر مجتمعاً علمياً ، هي مكافحة هذه الثقافة .

٦ — تكوين الرأي العام السياسي أسهل من تكوين الرأي العام الاجتماعي، لأن الأمة تلتزم عادات اجتماعية كأنها شعائر دينية يصعب عليها تركها . ولذلك نحتاج في إيجاد رأي عام حسن، أن نغرس عقائد جديدة .

٧ — المجتمع العلمي الذي ننشده هو المجتمع العالمي الذي يسير مع الأمم المتمدنة في الرقي الاجتماعي ، وهو في عصرنا مجتمع أوروبا وأميركا ولذلك يجب أن تكون هذه وجهتنا كما كانت وجهة اسماعيل باشا وقاسم أمين .

٨ — لقد انضممنا الى ميثاق الاطلنطي . وهو ميثاق أكثره سياسي وأقله اجتماعي. فيجب أن ننضم أيضاً الى الحريات الأربع، لأن بعضها يحمل كفالات اجتماعية كبيرة القيمة. واتجاهنا هذا هو اتجاه علمي وعالمي معاً .

وكان يمكنني بدلاً من هذا التلخيص، بل بدلاً من هذه المقالة كلها ، أن أوجز فأقول إن الغاية الأولى والأخيرة من تكوين رأي عام اجتماعي أن يؤدي هذا الرأي في النهاية الى ما نسميه « المجتمع العلمي » الذي تستغل فيه المواهب البشرية والطبيعية بشكل يمنع التبذير والضياع : تبذير الصحة والذهن وضياع الثروة .

ونحن نصف المعارف الدقيقة التي ينتفي منها الخطأ بأنها « علمية » فالمجتمع العلمي هو المجتمع الذي يقوم على المعارف الدقيقة . ولا يمكن أن نحصل على هذه المعارف إلا مع الحرية التامة .

فلكي نكوّن رأياً عاماً اجتماعياً، نحتاج إلى جمع المعارف، ثم الى حرية الاستنتاج كما هو الشأن في العلوم الجيولوجية او البيولوجية او الكيميائية .

سلامه موسى

جنة الشوك (*)

نوّهنا بهذا الكتاب في عدد المقتطف السابق ووعدنا بنقده وتقديره التقدير اللائق به وبمؤلفه . والحقيقة ان الكتاب نسيج وحده بين الكتب التي ظهرت في العهد الأخير . أما من حيث الاسلوب فهو أسلوب الدكتور طه حسين حيث ينطلق بعض الأحيان انطلاق السهم إذا صدر عن عقيدة ، فان صدر عن تعمل تعثر ومضى يترنح ذات اليمين مرة وذات اليسار مرة ، فيشعرك بأنه يتعمل وأنه يريد أن يصل الى غرض يحاول أن يخفيه محاذراً أن يُستبين ، يقظاً لئلاً تنم عن غرضه كلمة أو عبارة ، فاذا اجتاز هذه المرحلة الشاقة العسيرة التي قد تشعرك أن أنفاسه كادت تنقطع فيها ، انطلق مرة أخرى انطلاق السهم ، فهو يفرض على نفسه هذه العبودية بعض الزمن ، حتى إذا ضاق بها ذرعاً خانته الارادة وضاق صدره بما فرض على نفسه من تلك القيود ، فانفجر كأنما هو حبيس انفرجت عن نفسه أعواد حديدية كانت تكبت مشاعرها وأهواءها ، فراح يمرح في رحاب الحرية ، فلا يلبث أن يظهرك على ما حاول أن يخفي في نفسه ، والطبع مبديه .

وليس هذا الكتاب نسيجاً وحده بين الكتب التي ظهرت في العهد الأخير ، بل هو نسيج وحده بين كتب الدكتور طه حسين . فهو من حيث أنه أدب شيء جديد ، ومن حيث أنه سياسة أسلوب رمزي يغشى عليه الغموض وتضارب المعاني بعض الأحيان ، ويفلت منه زمام الرمزية أحياناً أخر ، فيظهر مكشوفاً مفضوح الأغراض . ومن حيث أنه تهكم سبيل قد يقود بعض الشباب أو الكثير منهم ، وهم الذين يتملقهم المؤلف في المقدمة ، الى مزالق وعرة وإلى اتجاهات خلقية أراد المؤلف أن يحاربها فلم تمكنه الرمزية التي ساق فيها عباراته من اظهار غرضه ، فساق القول بحيث يظهر أنه يؤيد الناحية التي حاول أن ينفيها ، والقادرون من شباب هذا الجيل على استخلاص المعاني المستترة قلائل ، بعد أن غمرتهم موجات الادب الاصفر المعروف . ومن حيث انه اجتماع فيه دعوة قوية الى الاشتراكية وتوقع الفورات

(*) من مطبوعات دار المعارف للطباعة والنشر تأليف الدكتور طه حسين ٢١٦ صفحة من القطع الصغير

المحطمة . ومن حيث أنه خطة فيه بشارة سافرة بحرب الطبقات . ومن حيث انه هجاء، رجرجة في بعض المواضع كأنه الزئبق ، وصارم صافي الحديدة كأنه الشعاع في مواضع أخرى. رجرجة اذا حاول ان يساوم ، وصارم إذا أراد أن يبيع بيع السماح .

***

أما ناحية الأدب في هذا الكتاب فلا تخرج عن أنها تجديد في الصورة والوضع . أما الأسلوب فشائع عند العامة في أمثالهم وأقوالهم واشاراتهم الخفية ، إذا أرادوا أن يغمضوا ولا يبينوا . ويكفي أن يوفق الأديب الى الابتكار في الصورة وفي الوضع . فان هذا في الواقع لهو الابتكار بعينه . أما القول بأن الابتكار خلق من العدم فإفراط هو في الحقيقة بُعد عن كل انصاف.

أنظر كيف يقول في السياسة : ان فلاناً يطلب الجلاء السريع بعد الحرب ، وانه يطلب هذا حتى يلي الحكم أو يشارك فيه (ص ٦٣) الساسة عندنا يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع (ص ٦٥) للضرورات أحكامها ، والرجوع الى الباطل أنفع وأجدى من التمادي في الحق ص (٨٩) لِمَ تسند عظائم الامور الى قوم لا يعقلونها ، ولا يقدرون على النهوض بها ، ولا بأيسر منها ؟ لأن السياسة كالطبيعة لها حكمة لم تستطع عقول الناس أن تفهم حقائقها بعد (ص ١٠٣) أيّ وعود الرجال أشبه بوعود النساء ؟ وعود الساسة حين يطلبون النيابة عن الشعب ، أو النهوض بأعباء الحكم (ص ١٢٨) . قال لبيد (ص ١٥٣) .

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلفٍ كجلد الأجرب

فالى من يرمز المؤلف ؟ من الذين ذهبوا وكان يعاش في أكنافهم ، ومن الذين بقوا وهم كجلد الأجرب ؟ لا ندري ! فقد تقلب المؤلف بين جميع الأحزاب السياسية عملاً بحكمته (الضرورات تبيح المحظورات : ص ٣٤) .

تخيل المؤلف رئيس عصابة فرّق أصحابه للسطو فعاد كل منهم بحصة تختلف عن حصة صاحبه من المسروقات ، وأراد أصحاب القلّة أن يساووا أصحاب الكثرة في القسمة ، وهمّ اللصوص أن يجادلوا الرئيس ، فاضطرهم الى الصمت والاذعان ، لأنه أنذرهم بأن يرفع أمرهم وأمره الى الشرطة (ص ١٦٥) ... ندرك هنا أن الشرطة مرموز بها إلى الشعب المسروق ، أما من هم اللصوص ؟ فالمؤلف ولا شك أعرف الناس بهم . أهم القلة والكثرة جميعاً ؟

فلان يتملق حزب الكثرة وحزب القلة جميعاً ! لماذا ؟ لأنه يحتاج إلى الحزبين ، ولأن الحزبين يحتاجان اليه (ص ١٨٨) فمن هو ذا ؟ نتخيل ، ولنا الحق أن نتخيل ، أنه كاتب

يتصل بالعوام . أما الاسم فعند رمزية الأستاذ المؤلف ، وهو بالطبع أعرف الناس به أيضاً .

اترك السياسة وانظره كيف يقول في التهكم : أدَّبتنا الحياة بأن الضرورات تبيح المحظورات (ص ٣٤) ونحن لا ندري أي ضرب من ضروب الحياة أدبنا هذا الأدب الا حياة الوصولية والانتهازية . وهو ضرب من الأخلاق أجاد المؤلف وصفه في الكتاب كأنه به خبير .

وثب فلان أمس من أقصى اليمين إلى أقصى الشِّمال . لماذا ؟ لأنه يئس من رضا الحكام فابتغى رضا الشعب ! ذلك بالرغم من أنه يقال لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس ! فان مُدَّت له أسباب الحياة ودعاه الأمل إلى اليمين ، فوثبة أخرى تردُّه من رضا الحكام إلى ما يريد . وما دام الانسان قادراً على أن يذهب ويجيء ، فلا جناح عليه في أن يذهب ويجيء . أما المبدأ فوسيلة لا غاية (ص ٦٤) ..... وفي هذا عبارة تدل على أنه يعني شخصاً أو أشخاصاً من الحزب الوطني ، وأكبر الظن أن طه حسين آخر من ينبغي له أن يحملق في هؤلاء .

الحياة قد علمتنا أن الضرروات تبيح المحظورات . ومن المحظورات أن تجفو من جفاه السلطان . فقد تصدُّك صلته عن بعض ما تحب ، وتصرف عنك بعض ما تتمنَّى (ص ٧٤) ويقول إن طريق الرقي في مناصب الدولة إسداء الثناء إلى غير الأكفاء ، وإهداء الهجاء إلى ذوي الغَنَاء ، وقذف المحصنات والخوض في الأعراض بغير الحق (ولست أدري متى كان الخوض في الأعراض حقًّا) وجفوة الصديق وخيانة الخليل (ص ١٠٧) ... قرأت فيما قرأت من شعر كاتول (شاعر روماني رسم اسمه الحقيقي قاطُلُّس) مقطوعة يهيِّيء فيها نفسه للموت ، بل يحث فيها نفسه على الموت ، لأن فلاناً وفلاناً من مواطنيه قد رَقِيَا إلى منصب القنصل . فأعجبتني سخريته اللاذعة ، كما أعجبني قول الشاعر العربي .

تأهَّبوا للحَدَثِ النازِل   قد قُرِىء الشعر على كامِلِ   (ص ١٤٢)

وكامِلٌ هذا ، على ما يظهر ، إنسان أنعم عليه برتبة ومنصب علمي خطير ، فعد المؤلف هذا حدَثاً نازلاً ينبغي أن يتأهب الناس لدفعه ، لأن « كامِلا » إذا أصبح منصوراً ، ففي ذلك ضياع لفهمي وفهم المؤلف وفهم الناس . ولا شك أن ذلك يكون من « الحدَث الكبار » كما يقول بشَّار .

إذا صُرف فلان عن السلطان أطلق لسانه بالشر في الناس جميعاً . فاذا رُدَّ اليه أطلق

لسانه بالثناء على الناس جميعاً . لأنه يسخط فلا يقول الاّ شرّاً ، ويرضى فلا يقول الاّ خيراً ، وقد حيل بينه وبين خير الأمور ، وخير الأمور أوسطها (ص ١٧٥) ..... وهذا الضرب من التهكم غث ولا شبهة . فان محصله إنك إذا توسطت في القدح والثناء ، بحق وبغير حق بالضرورة ، كنت في خير الأمور . وليس في هذا خير على اطلاق القول . ومن هذا وأمثاله مما نقلنا عن الكتاب ، ترى ان ناحية التهكم فيه مضت في صورة نصائح خطيرة النتائج شديدة الأثر في الأخلاق .

وفي الكتاب نزعة اشتراكية وتوقع لخطوب اجتماعية جسام وفورات محطمة تحرق الأخضر واليابس وتأتي على النائم والقائم . يقول : أعرف أوعية لا تمتلىء وآنية لا تفيض ، هي خزائن الأغنياء وعقول العلماء وجهنم ! ولكنّ أناءً واحداً قد يفيض فيصبح مضرباً للامثال ، ومصدراً للعبر وبعيد الأثر في حياة الأجيال . ألا تذكر سيل العَرِم (ص٣٠/٣١) أما السيل فهو الشعب الثائر ، وأما العرم فقوة الثورة الاجتماعية المحطمة .

قال المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمنَ وما تفنى العناقيد

نامت نواطير مصر عن ثعالبها ، وما زالت هذه الثعالب تأكل وتشرب حتى يدركها البَشَم فلا يزيدها الاّ نهماً ، كأن بطونها تلك الآنية التي أشارت إليها الأساطير اليونانية والتي ليس إلى ملئها سبيل . أما النواطير فسل المتنبي عما أراد بها . أما أنا فأفهم منها الشعب. وأظنك لا تنكر أن الشعب ما زال نائماً بل قل أن الشعب يقظان نائم . يقظان لأنه يعمل وينتج ، ونائم لأنه لا يحمي ثمار عمله من هذه الثعالب (ص ١٣٦) .... وفي هذا تصوير رائع لتفاضل الطبقات ، كأنما هو يقول أيها النواطير (التي هي الشعب) تنبهي للثعالب التي تنهشك فذوديها عن ثمراتك . وإذا أردت المزيد من هذا فانظر ص ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ . ولكن إذا أردت أن تلمس الدعوة إلى أشياء وأشياء فاقرأ ما كتب تحت عنوان « رعيّة » (ص ٩٣) ان الشعب سيد نفسه وانه مصدر السلطات (حسن) وانه بذلك هو الراعي وهو الرعيّة (أحسن) بذلك يحدثهُ الدستور ، وهو ان لم يصدق الدستور اليوم ، فقد يصدق غداً . واقرأ في (ص ١٩٤) : ما دام في الأرض سادة يملكون مئات الألوف ، وخَدم لا يملكون شيئاً وفرص للهو ينفق فيها المال ، فكل العصور واحدة وان طال الزمن.

وفي الكتاب هجاء يعتقد المؤلف أنّه أشد فنون الأدب ملاءمة لعصر الانتقال الذي نحن فيه (وعسى أن لا يضيق بالهجاء ذرعاً إذا كان صادق العقيدة في ذلك) .

ومن أمثلة الهجاء أن فلاناً يرى نفسه حاكماً بالطبع (ص ٧٩)، الصفوة الممتازة من المثقفين

تكرم كاتباً يحسن الخطأ أكثر مما يحسن الصواب (ص ٨٥) فلان قاطع الناس غير واحد منهم ، فلعله ينتظر منه نفعاً فهو يستبقيه حتى يبلغ آخر ما عنده ، ثم يلحق بالآخرين (ص ١١٦) ، عصر الانتقال : أشد فنون الأدب له ملاءمة فن الهجاء (ص ١٢٥) ، من الوزراء من يتخذون زينة (ص ١٢٧) ويقصد المؤلف انهم كالاشياء الاليفة وإصص الزهور والخزف القديم مثلاً . فلان يخلّط في كتابه عن حياة النبي (صلعم) تخليطاً شديداً ، لأنه عرض لما لا يحسن من الأمر ، وقال فيه بغير علم (١٣٠) ولعله يرمز الى صديق قديم قارضه الثناء ، أو بالحري انهما تقارضا الثناء على صفحات الجرائد زمناً ، فلما وصلا تدابرا ، ولم يبقِ أحدهما على صاحبه عندما فرغت الجعبة ، وقول المؤلف في عبارة « نفع » ص ١١٦ خير ما يقرأ ختاماً لصداقتهما ، وانظر قوله : شعب يجري أمره على جهل الشباب وطيشهم من جهة ، وعلى ضعف الشيوخ وحمقهم من جهة أخرى ، هو شعب ناهض يسعى الى المجد بخطو سريع !! (ص ١٥٦) أما المؤلف فليس من الشبان وليس من الشيوخ ، فهو الذي يقول «أنا» إذا سأل سائل : « أليس منكم رجل رشيد » . ومزكّي نفسه يقرئك السلام

وقد يتفق للمؤلف انْ يحاول رسم صورة لشخص فيزل ، وإذا به يصور نفسه . . وإذا شئت من ذلك شيئاً فاقرأ «وصول» (ص ٣٧) ، واقرأ «غيره» ص (٩٥) ، فان المؤلف في هذه المقطوعة «خاصّةً» قد نمَّ عن نفسه بجلاء . فانها تدل على انفعال ذاتي ، لا انفعال موضوعي . والانفعال الموضوعي انفعال يقوم برواية أو خبر نتلقاه ، أما الذاتي فهو ذلك الذي يصوره المؤلف . ودليلنا على ذلك كما أسلفنا مقطوعة «وصول» ص ٣٧ واليك هي :

« لم يكن شيئاً ثم ارتقى حتى صار شيئاً مذكوراً . وقد سلك في تصعيده من الحضيض إلى القمة طريقاً وعرة ملتوية ، يغمرها ضوء الشمس من وراء نقاب من السّحاب أحياناً أخرى ، ويحجبها ظلام قاتم فاحم في كثير من أجزائها . فلمّا ارتقى الى القمة واطمأنَّ في مكانه منها ، نسي ماضيه كله ، وأعرض عن مستقبله كله ، وعاش ليومه الذي هو فيه» .

« نسي الماضي فلم يتعظ ، وأعرض عن المستقبل فلم يتحفّظ ، ومضى مع هواه طاغياً باغياً ، حتى أخاف الناس من نفسه ، وأخاف نفسه من الناس ، فلم يأمن إلى أحد ، وإذا هو مضطر الى أن يظهر الحب لقوم يبغضهم أشد البغض ، وإذا الناس من حوله مضطرون إلى أن يظهروا له حبّاً متهالكاً وليضمروا له بُغضاً مهلكاً ، واذا الاسباب بينه وبين الناس ترث ، حتى ان أيسر الأمر لينتهي بها الى الانقطاع » .

«قال الفتى لاستاذه : لقد سمعت منك ، ولكني لم أفهم عنك ، وإنك لتحدثني بالألغاز منذ حين ، فماذا تعني وإلامَ تريد ؟

« قال الشيخ : إن حب الاستطلاع إن نفع في بعض الوقت فقد يضر في بعضه الآخر . وما عليك أن تفهم شيئاً وتغيب عنك أشياء ! إنما هي مرَايا تُنصب للناس ، فلينظر فيها من يشاء ، وليُعرض عنها من يشاء . وربما كان الإعراض عنها خيراً من النظر فيها . فقد ينظر فيها من يحب الاستطلاع مثلك فيسوءه ما يرى ، لأنه يرى نفسه » . انتهى «وصول»

قال دمنة : كان صاحب هذه الصورة حراً دستورياً ، فشنّ غارة شعواء على سعد وصحبه من الوفديين في جريدة اسمها « مصر » ، وأخذ الدستوريون يؤيدونه ، حتى إن رئيس وزارة منهم أحدث أزمة سياسية أمام مجلس النواب ، فارتقى بذلك بعض الدّرج وصعّدَ في طريق وعرة ملتوية ، فلما علم أنه تسنم أعلى ما يمكن أن يصعدوه من الدرجات ، انكفأ إلى أصحاب سعد من الوفديين ، وشنّ غارته الشعواء على الدستوريين عند ما شعر بأنه ليس لديهم درجات يصعدها ، وأمعن في ذلك حتى لقد همّ بان يطعن أحدهم ، وهو له أستاذ وكفيل وناصح ، عند ما استقال من الجامعة احتجاجاً على وزارة أرادت أن تسلب استقلال الجامعة ، فارتقى بذلك بعض الدّرج وصعّد في طريق وعرة ملتوية . استغفر الله ، انه لم يهم فقط بطعن أستاذه وكفيله ، بل لقد طعنه بالفعل . ثم ارتد الى الأحرار الدستوريين بعض الزمن لما وجد عندهم درجات يصعّد فيها ، ثم رجع إلى أنصار سعد ، لما فرغت درجات أصحابه الأوّلين .

ما هذه المرآة ؟ هي إحدى المرَايا التي يطل فيها المؤلف ، فيرى صورة نفسه . وما هو الحافز المستتر وراء هذا التغاضي المتبادل بين الناحيتين ، ناحية حزب الكثرة وحزب القلة جميعاً ، وفلان هذا ؟ الحافز أنه يحتاج الى الحزبين ، وأن الحزبين يحتاجان إليه (ص ١٨٨) ها هوذا مفتاح نفسه . أستغفر الله ثانيةً ، بل وقُفْل نفسه أيضاً .

وفي الكتاب مواضع للنقد من حيث الاسلوب ومن حيث التفكير . أما في مجموعه فعمل أدبي يحفز الى تحريك الفكر . وجدير بجهد أدبي يحرك الفكر ، ان يكون له أثره الثابت في الحياة .

جملة القول أن طه حسين قد أعطى بذلك الكتاب مفتاح نفسه ، فاقرأه فيه رمزاً وحقيقة ، وأبين ما تقرأه فيه إذا ضاق صدره بالرموز ، فانه حينذاك يُسفر ، فتتضح ملامحه . ولله الحمد فقد عرفنا انه اشتراكي ولم نكن نعرف ذلك ، وعرفنا انه يعتقد ان الهجو أدب عصور الانتقال .

٢ — كيف تحفظ صحتك

الماء

الماء هو العنصر الثاني الضروري للحياة بعد الهواء . فالانسان يستطيع أن يعيش بغير طعام عدة أيام . ولكنه لا يمكنه أن يبقي فى الحياة بغير الماء إلا ساعات معدودات .

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه المنزل الكريم « وجعلنا من الماء كل شيء حي » لأن حوالي ٨٠ ٪ من تركيب الكائنات الحية على اختلاف أنواعها يتكون منه . والانسان أول هذه الكائنات ، فالماء يكون الجزء الأكبر من تركيب أنسجته ودمه وافرازات غدده المختلفة

وماء الجسم يستعمل دائما في اتمام وظائفه الفسيولوجية . فهو يخرج من الجلد عرقاً ، ومن الكليتين بولا ، ومن الرئتين بخار ماء ، ومن الغدد افرازات مختلفة . كما انه يستعمل في عمليات الهضم من بدء افراز اللعاب على الطعام ، الى انصباب العصارات المعدية على الكتلة الغذائية ، الى التمثيل الغذائي ، ثم نقل الدم والغذاء لأنسجة الجسم المختلفة ، وأيضاً في عملية اخراج فضلات الطعام .

وينبغي أن يعوض هذا الماء المستعمل في وظائف الجسم ، وإلا نقصت نسبة الماء فيه ، فتتعطل وظائفه الحيوية ، أو تتم على وجه ناقص مبتور ، يترتب عليه ضعف الجسم في أجهزته المختلفة . وما الجسم الذي لا يمد بحاجته من الماء ، إلا كتربة جافة ينقصها الرواء .

وفئة كثيرة من الناس لا تمد أجسامها بالماء الضروري لها . فيصابون بفقر الدم . لأن قلة الماء معناه قلة الدم ، كما يصابون بالامساك لأن الامساك سببه الاحتياج الى الماء ، وتمتقع ألوانهم وتضعف أعصابهم ، وتنبعث من أفواههم رائحة كريهة . وتنقص افرازات غددهم الحيوية كاللعاب والمرارة والبنكرياس والعصارة المعدية وغيرها . ويحتاج الانسان الى اثنى عشر كوباً من الماء كل يوم على الأقل لتعويض ما يفقده الجسم في اتمام وظائفه المختلفة . والماء أعظم منق للدم . وهو يمنع تراكم المواد الضارة بالقولون ، ويحفظ الجهاز الهضمي وكذا الأجهزة الأخرى من الجسم صحيحة نظيفة ، مما يكسبها مناعة ضد فتك الجراثيم وعبثها .

« فاشرب الماء بشره ولا تأكل بشره » وهذا نصح كريم فاه به الرسول صلوات الله عليه في حديث شريف له . وخير نظام لشرب الماء أن تتبع فيه الطريقة الآتية : —

١ — بعد الاستيقاظ من النوم صباحاً اشرب بقدر ما تستطيع بعد أن تغسل أسنانك .

٢ — لا تشرب على الأكل ، حتى لا تغسل طعامك ، ولكن بعده بثلاث ساعات اشرب ما شئت من الماء القراح .

٣ — انقطع عن شرب الماء قبل الأكل بنصف ساعة ، حتى تعد الجهاز الهضمي للاحساس الطبيعي بالجوع .

٤ — اشرب كمية قليلة جداً من الماء في نهاية الأكل ، حتى تلين الكتلة الغذائية .

٥ — اذا شربت الماء مصه كما يشرب الطفل لبن أمه . واحفظ الماء قليلا في فمك وأنت تشربه .

٦ — اشرب بكثرة ، ولكن كميات قليلة في كل مرة ، وضع في محل عملك ، أو على مكتبك ابريق ماء واشرب كوباً منه بين الفينة والأخرى ، وعود نفسك أن تشرب دون أن تحس العطش

٧ — اشرب قدحاً من الماء قبل أن تنام .

اتبع هذا النظام شتاء وصيفاً ، فلا يصيبك على الاطلاق تصلب في الشرايين ، ولا ضغط في الدم ، ولا املاح ، ولا حصوات في الكلى ، أو في غيرها ، ولا امساك ، وما يترتب عليه من أمراض مختلفة عديدة . ولقد سئلت مرة من رجال الصحافة ببلاد الانكليز يوم كنت بها أحاول عبور المانش عن سر صحتي ، فأجبت « انه فن شرب الماء » . فكيف تشرب الماء ، ومتى تشربه ، فن من فنون الصحة ، فتعلمه مما بينته لك . واذا ذكرت لك الماء كشراب ، فأنا لا أنسى ذكره لك ، كأداة لتنظيف جسمك . فعليك بالوضوء والاستحمام كل يوم ، تعش صحيحا قوياً ، لا تمرض غير مرضة الموت .

فهمي عطا الله

القلب وأمراضه

القلب عضو عضلي موضعه منتصف الصدر ، بين الرئتين ، مائلاً الى اليسار على هيئة مخروط ذروته الى أسفل ومرتكز على الحجاب الحاجز . وهو يعمل عمل مضخة ماصة — كابسة، فيجذب الدم من الأوردة ويدفعه الى الشرايين وينشأ من ذلك صوت يُدرك بالسمع يسمى بضربات القلب التي تكون منتظمة في الحالة الصحية ، وبالعكس في الحالة المرضية .

وعلل القلب او آفاته كثيرة ، عسرة التمييز لما تقتضيه معرفتها كما لا يخفى من العلم الواسع والخبرة الطويلة نظراً الى التغيرات التشريحية التي تطرأ سواء على غشائه الباطن (كالتهاب الشغاف مثلاً) ، أو على غشائه الخارج (التهاب التامور) ، او على عضلة القلب نفسه عند ما يصاب بالالتهاب ايضاً . زد على ذلك أنهُ قد تعتري القلب اضطرابات وظيفية في جهازه العصبي والدوراني دون غيرها فتسبب المريض الخفقان وذبحة الصدر (ألم الفؤاد) ، ويغلب حدوث هذه الأعراض عادةً في المتقدمين في السن وتتميز بألم حاد ناخس مع عسر شديد في التنفس وضيق لا يوصف ، ويشعر المصاب كأن الموت قد جاءه ، ويدل ذلك غالباً على علة أصلية في القلب .

ولما كانت علل هذا العضو كثيرة كما قلنا وكان المجال قصيراً لسردها هنا بالتفصيل رأينا أن نكتفي بذكر أسبابها الرئيسية مما تهم القراء معرفته مع قطع النظر عن تقسيمها العلمي على اصطلاح الاطباء .

١ — أمراض القلب الخَلْقِية : يشاهد أحياناً في بعض الحالات الموروثة أن العوامل المرضية التي تؤثر في القلب والأوعية الدموية وتظهر في الجنين وهو في بطن أمه تستمر بادية فيه حتى بعد الولادة فيقال لها اذ ذاك خَلْقِية ، ونذكر من هذه الأمراض الخلقية مثلاً الاتصال غير الطبيعي الذي يوجد بين الأذينين . والواقع انه توجد فتحة بين الأذين الأيسر والأذين الأيمن في حياة الجنين تدعى « فتحة بوطال » ، بيد انها تلتحم في الحالة الطبيعية وتنسد قبيل الولادة ولا يبقى قط أي اشتراك بين الأذينين . وهكذا قل عن البطينين : فقد يحدث أحياناً اشتراك بينهما مع عدم نمو الصمامات الموجودة بين كل من الأذين والبطين

المجاور له . أو انه يوجد ايضاً ضيق في فتحة الأوعية الدموية الغليظة عند محل اتصالها بالقلب الخ . غير ان هذه التشويهات الخلقية تعد لحسن الحظ نادرة .

٢ — الوراثة : وهي ان بعض الاشخاص يأتون للعالم ولا يشكون او لا يبدو عليهم ظاهريـا أي مرض من ناحية القلب ، ومع ذلك فقلبهم هذا ليست له تلك المقاومة الموجودة عند الأشخاص الاصحاء السليمين . ولا يقتصر ذلك على القلب فحسب ، بل يتعداه الى الاعضاء الاخرى من الجسم . هذا وتوجد أسر يكون جميع أفرادها مصابين بضعف من ناحية القلب ، واذا تتبعنا الذريات المتعاقبة من هذه الأسر يتضح لنا انه بالرغم من المظاهر الصحية الخارجية التي يتمتع بها أفرادها ، فالجدة والأم والولد، يشكون غالباً اضطرابات قلبية لا يوجد لها سبب او لا يمكن تعليل حدوثها الاّ للانتقال الوراثي للمرض .

فكما أنه توجد أمراض شتى تنتقل بالاستعداد الوراثي من الوالدين الى الأولاد كالتدرن مثلاً ، والسرطان والداء الخنزيري والداء الزهري والتهاب المفـاصل وعلل الجهاز العصبي (كالصرع والخوريا والفالج والجنون والسكتة) والتشويه الخَـلْـقِـي والعمى والصمم والربو والامفيزيما وداء السكر والشيب والصلع وسقوط الاسنان الخ) ، كذلك تكون الحالة ايضاً في أمراض القلب، فيولد الطفل وعنده استعداد لهذه الأمراض ، وقد تشتد وتنمو أعراضها بعوامل وأسباب كثيرة متنوعة وتلعب منذ الطفولة الأولى دوراً سـيئاً في سير أمراض القلب وتجعل قلب السليم عليلاً . ونذكر في الدرجة الأولى بين تلك العوامل والأسـباب الأمراض المعدية .

٣ — الأمراض المعدية : أخص هـذه الأمراض ما له علاقة بموضوع بحثنا اليوم هو الرثية المفصلية الحادة والحمى القرمزية والحمرة وذات الرئة وتسمم الدم . أما البرداء (الملاريا) فانفعال القلب بها على ما يظهر يكون أخف وطأة — بعكس النزلة الوافدة (الأنفلونزا) التي تلعب دوراً خطيراً في نموّ أمراض القلب واشـتدادها ، وعدد كبير جداً من الأشخاص شوهدوا فعلاً مستهدفين لاضطرابات وعلل قلبية خطيرة نتيجة اصابتهم بهذا الداء الوافدي في عام ١٨٩٢ و ١٩١٨ — ١٩١٩ ، ثم في لندن عام ١٩٢٩ حيث تفشى في بقاع كثيرة من الارض وأودى بحياة الملايين من السكان . ولا يفوتنا كذلك ذكر الذباح Angina الذي وان كانت تبدو لنا أعراضه سليمة العاقبة، لـكنه كثيراً ما يؤدي الى الاضطرابات القلبية نفسها . والعوامل المرضية التي تحـدث أعراض الأمراض ، وأعني بها المـكروبات المعدية ، تعمل على تسبيب الحمى والالتهاب، وهي إما أن تدخل مباشرةً في الدم وتنتشر فيه وتحدث ظواهر المرض ، أو ان تولد فيـه مادة تسمى بالتوكسين ، أي السم ، فينتشر في الدورة

الدموية ويحدث أعراض المرض أيضاً . ولما كان القلب كما هو معلوم المركز الرئيس لدوران الدم في الجسم وفيه يجب أن تمر كل الكتلة الدموية ، فيكون بطبيعة الأمر متأثراً بسموم تلك الجراثيم والمكروبات ومفاعيلها الضارة تأثراً بليغاً — وهذا ما يؤول الى احداث التهابات وتقلصات والتصاقات وعلى الخصوص في الصمامات، حيث يكون مفعول تلك المكروبات شديداً لدرجة ان هذه الصمامات تغدو غير كافية أو عاجزة عن القيام بعملها كما ينبغي بالدقة المطلوبة مثلما يجب في الحالة الطبيعية : أي سدّ فتحات القلب وتأمين سير الدم وانسيابه ومنعه من الرجوع الى الوراء . فضلاً عن ذلك فعضل القلب نفسه قد يستهدف بدوره للمرض عند ما تحدث تلك الأمراض المعدية في الصغر : ففي هذه الحالة يبقى المصاب مريضاً الى النهاية . ولحسن الحظ ليس لمعظم العلل المذكورة تلك النتائج السيئة على القلب ، حتى الرثية المفصلية (الروماتزم) نفسها تترك القلب غالباً صحيحاً سالماً، بفضل العناية والمداراة والحمية اللازمة .

٤ — اضطرابات القلب من أصل عصبي : يجب أن نذكر هنا ما للسن (من السن السادسة الى سن العشرين) عند الطلاب خلال مدة الدراسة من التأثير السيء أيضاً على وظائف القلب والذي يعودّ منشؤهُ الى الجهاز العصبي ، ويمكن القول هنا ان أسباب هذه الاضطرابات القلبية هي نفس الاسباب التي تؤدي الى حدوث العصبية والتهيج والنوراستنيا في تلك السن . وقد يكون للتربية السيئة تأثير يذكر على حياة الطفل العصبية حتى في دور الرضاعة . وهكذا قل عن الاجهاد العقلي السابق لأوانه ، وعدم كفاية النوم ، والافراط في الأكل ولاسيما الاكل الدسم الذي يلقي على القلب والمعدة أعباءً تؤدي الى اختلال الجهاز الهضمي والدورة الدموية . أما عند الشبان والكهول فان الحياة الجلوسية ، واهمال الرياضة البدنية ، ومشقة الاعمال المنهكة ، والطعام غير الكافي والمكوث ساعات طويلة في الكتابة والعزف على البيانو ، والتدخين واحتساء الخمر والسهرات الطويلة المتكررة والاسراف في الشهوات وعلى الخصوص اضطراب البال ، تكون سبباً في احداث كثير من الامراض العصبية والصدرية والقلبية . وبكلمة واحدة كل ما يُتعب أو يسبب تهيجاً للجهاز العصبي له أبلغ التأثير على القلب وجميع الذين يشكون اضطرابات من هذه الناحية في سن الكبر، يجب ان يُعزى منشؤها الى سن الصغر في غالب الأحيان . ومن النادر أن الامراض المعدية المعوية في هذه السن، يكون لها تأثير يذكر على القلب.

٥ — الرمع (الخلوروس) Chlorose : هو نوع من الأنيميا لهُ بدوره أهمية كبرى في احداث كثير من الاضطرابات القلبيـة وسببهُ تبديل في تركيب الدم وأعني بذلك نقص

مقدار الهموغلوبين (اليَحْمُور : وهي المادة الملونة للدم) الذي تحتويه كريات الدم الحمر ، ويتسبب نقص اليحمور نفسه عن نقص الحديد في الدم

وهذا المرض غالباً ما يصيب النساء وعلى الأخص الفتيات أو الشابات، إما من سوء المعيشة أو من أسباب عامة أو شخصية مضادة للصحة أو من كثرة الحمل وزيادة الإرضاع. وهذه الحالة كثيراً ما تكون مصحوبة باضطراب الطمث . والناظر المصاب يراهُ شاحب اللون إلى الاخضرار ، مصفرّ الشفتين وملتحم العين الجفني ، ويشعر غالباً بالضعف والتعب وفقد الشهية للطعام وخفقان القلب ودوار الرأس أحياناً . وأغلب ما تشاهد هذه الحالة المرضية عند المعدمات الفقيرات الحال : كالخادمات والعاملات في المصانع والبائعات في المخازن والطاهيات والكوّايات repasseuses الخ . ويحدث أحياناً لحسن الحظ أن تزول هذه الأعراض شيئاً فشيئاً بعد مدة من الزمن باتباع القواعد الصحية وحسن التغذية وتبديل الهواء واستعمال بعض المستحضرات الطبية كالحديد أو الكينا مع الحديد والزرنيخ. وزيت السمك الخ فينال المصاب الشفاء التام

٦ — الاجهاد : ولا يبرح عن الذهن أيضاً ما لبعض الرياضات البدنية في أيامنا هذه من التأثير الفعال على وظائف القلب عندما تكون هذه الرياضات عنيفة شاقة وبقدر ما تكون الرياضات البدنية مفيدة لذيذة جذابة (كالركض والمشي بسرعة والسباحة وتسلق الجبال الخ) عندما يمارسها الانسان باعتدال ، تكون بالعكس مضرّة ومسبّبة لتضخم القلب وضعفه عندما يساء استعمالها . ويكفي أن يعتري المرء الاجهاد مرة كي يبقى أثر ذلك فيه مدة طويلة من الزمن .

ولا يفوتنا كذلك ما للافراط في التدخين في وقتنا هذا من التأثير السيء في إحداث مثل هذه الاضطرابات ، ولا سيما اذا قورن بضروب الملذات الأخرى في الشبيبة والانهماك في الرغبات الجنسية .

فقد أحصى العلماء ١٩ نوعاً من السم في الدخان وكل نوع منها له مفعول قتّال ، ولا سيما النيكوتين وأوكسيد الكربون وحامض البروسيك والبيريدين . فهي سموم مفسدة للقلب وهادمة للصحة ، مضعفة للارادة مخدرة للاعصاب ، مسبّبة لأمراض الحلق والصدر ومساعدة على الاصابة بالسل . وبالاجمال نقول إنها تقتل حيوية الانسان وتقلل من مقاومته للأمراض .

وتأتي أيضاً في دورَي الشبيبة والكهولة عوامل أخرى تؤثر بدورها في إحداث أمراض القلب أو اضطراباته ، ومَصْدَرُها المشقة التي يعانيها الانسان في مكافحة صعوبات الحياة ،

والمسؤوليات الكثيرة ، والاضطرابات ، والهموم اليومية ، وارتفاع تكاليف الحياة ، وازدياد المنافسة مع تناقص الدخل الذي يضطر الرجال أن يُقبلوا على العمل المضني بكلياتهم خوفاً مما يخبؤه المستقبل . علاوة على ذلك : كثرة التفكير في الامور المالية للحصول على الذهب خصوصاً عند الذين تهمهم أسعار البورصة ، ثم المجازفات التجارية الجامحة التي تؤدي الى الاجهاد العقلي وانشغال الفكر . فهذه كلها لها تأثير فعال أيضاً على حالة القلب العصبية . وفي غالب الأحيان تكون هذه العوامل مجتمعة . فبعض الأشخاص مثلاً يضاف الى أتعابهم الجسمية المنهكة ، الافراط في تناول المشروبات الكحولية . والبعض الآخر ، وهم الذين تكون حالتهم العقلية متوترة بالمسؤوليات الكبرى والاضطرابات المستمرة ، يضاف إليها الاسراف في الملذات والشهوات الجنسية .

وأخيراً قد تتسبب أمراض القلب من إجهاد الجسم ولو مرة واحدة عندما يقوم بعض الاشخاص فجأةً بتمارين رياضية دون أن يكونوا معتادين عليها أو ممارسين لها : كتسلق الجبال والجولات الطويلة وما شابه ذلك من الرياضات التي تتطلب مجهودات عضلية عنيفة فوق الطاقة .

٧ — المشروبات الكحولية : لا يخفى ما لتأثير هذه المشروبات في الجسم واضرارها بصحة الانسان . فقد أجمع رأي المدققين من جماهير الأطباء والحكماء وعلماء الاجتماع من ذوي العقول السليمة والآراء الصائبة على مضار المسكرات جسماً وعقلاً ، بتركها مدمني هذه المشروبات فريسة لجيوش العلل والأسقام كأمراض القلب والدماغ والمعدة والكبد والصدر وحالات سوء الهضم والهزال والجنون والخمول والبله والبلادة والشلل وغير ذلك من الآفات والاضطرابات . و « القوة » التي يعتقد بعضهم انها تأتي من تعاطي المشروبات الروحية ليست إلا وهماً خداعاً . وقد اتضح بالتجارب العديدة ان شارب الخمر أقل من غيره اقتداراً وكفاءة على الاستمرار على العمل لما يعتريه من الخمول والانحطاط في القوى والميل الى التشرد ومخالفة الأوامر وفقدان قوة المقاومة وجعل الجسم أشد قبولاً للامراض الوبائية . عدا ذلك فقلب شارب الخمر يكون أسرع في دقاته ويزيد مقدار الدم المقذوف في وقت معلوم ، وهذا يسبب تعب القلب .

وقد أيدت التقارير الموثوق بها ان للجعة (البيرة) بصورة خاصة ، إذا أكثر الانسان من تعاطيها ، أسوأ التأثير على القلب وتحدث فيه اضطرابات أشد مفعولاً من مفعول الخمر والكحول .

٨ — السن : لتقدم السن ، ولاسيما الشيخوخة ، تأثير مهم أيضاً في احداث الاضطرابات

القلبية المشار اليها حتى عند الأشخاص الذين عاشوا عيشة منتظمة ولم يجهدوا قلبهم بشغل فوق طاقته . أما منشأ هذه الاضطرابات فهو تصلب الشرايين الذي يصيب القلب ولاسيما الشرايين ، فتضعف هذه الأوعية الدموية شيئاً فشيئاً وتفقد نعومتها ومرونتها ثم تخترقها بعدئذٍ الأملاح الكلسية فتصير صلبة . وفي الدور المتقدم من المرض يمتد ترسيب الجير ليس إلى جدران الأوعية فحسب بل وأيضاً الى الأغشية المبطنة للقلب . والأضرار التي تحدثها هذه الحالة تجعل الشرايين أخيراً سريعة العطب والانكسار وقابلة للانفجار . أو أن تصاب جدرانها بالسماكة والتصلب لدرجة يتعذر مرور الدم فيها — الأمر الذي يترتب عليه أضرار بليغة واضطرابات خطيرة، غالباً ما تؤدي الى الوفاة.

ومجمل القول ان القسم الأعظم من أمراض القلب واضطرابات الدورة الدموية التي تحدث في النصف الثاني من حياة الانسان، يكون مرتبطاً بتصلب الشرايين .

***

أنواع أمراض القلب وتشخيصها

بعد ان بينا في ما سبق من الأسباب الرئيسة لاضطرابات القلب او أمراضه بقي علينا ان نذكر هنا أنواع هذه الأمراض وتشخيصها . وهذه الأنواع كثيرة متعددة لا يتسع المجال هنا لشرحها بالتفصيل ولذا نكتفي بذكر أهمها وهي : تضخم القلب . التهاب الشغاف (باطن القلب) وعلى الخصوص التهاب الصمامات . تمدد القلب. حؤول (أو تنكّس) القلب الشحمي Dégénérescene graisseuse . التهابات عضلة القلب الحادة والزمنة. التهاب التامور (غشاء القلب الظاهر) ثم أمراض القلب الناشئة من أصل عصبي .

ولننظر الآن في ما يختص بتشخيص أمراض القلب وتعيين محل علله وماهيتها وأصلها وتمييزها الخ . فهذا كله لا يتأتى الاّ بعد البحث الوافي والاعتناء والتروي . ولما كانت معرفة ذلك تابعة بالكلية لتمييز المرض أولاً ، كان التشخيص في المقام الأول من واجبات الطبيب ومداراً لمداواة المريض، والتصرف مع أهله الذين يريدون استعلام العلة ومدتها وعواقبها . وللاطباء كما هو معلوم طرق خاصة لمعرفة أمراض القلب نذكر منها اولاً : « الطرْق » أو « القرْع » percussion الذي ابتكره الطبيب النمسوي Avenbrugger في عام ١٧٦١ فرأى أهميته وفوائده وعمل على تعميمه فانتشر استعماله في المانيا بواسطة Skoda وتلامذته ،

ثم انتشر بعدها في فرنسا بواسطة Laennec و Barth و Roger و Peter و Lasègue و Grancher وغيرهم. وبفضل هذه الطريقة في فحص المريض يمكننا ان نرسم دائرة القلب على الصدر ونعرف تغييرات حجمه مع حالة الأذينين والبطينين. وقد ساعد على تأييد التشخيص بالنظر استعمال أشعة إكس المجهولة في الطب ويكفي لذلك فحص ظل القلب المنعكس على الحاجز écran. أما ما يختص بفحص ضربات القلب بالمسماع Stethoscope فهو معروف ولا يحتاج شرحه أيضاً الى تبيان. فقد كان اكتشافه للمرة الأولى في عام ١٨١٩ بواسطة Laennec و Stokes و Skoda و Barth و Bouilland و Troussean و Potain الذين عمموا استعماله ووصفوه وصفاً مسهباً. فبفضل المسماع يمكننا ان نتأكد مما إذا كانت ضربات القلب طبيعية أو غير طبيعية، أو اننا نسمع بالعكس نفخات أو احتكاكات كما هي الحالة في أمراض الصمامات أو التهاب التامور. فاذا حدثت مثلاً نفخات Souffles بدلاً من « تيك تاك » الطبيعية كان ذلك دليلاً على اصابة الصمامات بالمرض أو على نقص في عملها كما هي الحالة في الاصابة بالتهاب الشغاف (باطن القلب). فتجاويف القلب التي يجب أن تغلق اغلاقاً محكماً، يغدو هذا الاغلاق في حالة التهاب الصمامات، ناقصاً، فيتبع الدم حينئذٍ مجرى غير طبيعي. وقد تصاب الصمامات أيضاً بالضيق والانكماش على أثر بعض العوامل الالتهابية مما تؤول نتيجته إلى حدوث موجات أو دفعات دموية، عند كل انقباض في القلب، ويكون حجم هذه الموجات والدفعات ناقصاً.

* * *

وأخيراً يجب أن نذكر بعض الأعراض عند المصابين بالاضطرابات القلبية مثل الخفقان والتشنج والثقل أو الضغط في منطقة القلب مع الشعور بالألم عند قمته في موازاة حلمة الثدي وهي اضطرابات وظيفية محضة منشؤها جهاز القلب العصبي والدوراني. ومن النادر أن يهتم المريض بمعرفة سبب أو أسباب هذه الاضطرابات، بل كل ما يهتم به هو أن يعرف كيف ينظم حياته وفقاً لحالته الصحية الراهنة. وربما تطرقنا في مقالنا المقبل الى ذكر التدابير الواقية لاجتناب مثل هذه الاضطرابات القلبية للاسترشاد والعمل بها اتماماً للفائدة.

الدكتور عبده رزق

طبيب مستشفى الميناء والملاحة بالفاو : العراق

الاحلام والروح

تحت هذا العنوان قرأت في مقتطف ابريل ١٩٤٥ مقالاً لحضرة الأديب الأستاذ احمد فهمي ابي الخير واستغربت ما فيه من اقوال لا تقف لدى محك العلم الحديث الذي لا يثبت أمامه شيء مما يخرج عن دائرة الطبيعة . والعقل لا يقتنع بأن وراء الطبيعة شيئاً غيرها إذ ليس ثمت ظاهرات تدل على وجود شيء وراءها

يقول الأستاذ ابو الخير : « الانسان في الواقع جسد ونفس وروح »

اما انه جسد فهو (كما قال) ما نرى ونلمس . واما انه نفس وروح ، فليس في ظاهراته ما يدل على شيء يسمى نفساً او روحاً . والنفس والروح في لغتنا ، لفظان مترادفان لشيء لا نعرف ما هو ، ولا تعريف علمي له ، ولا أدلة حسية على وجوده

على ان الذي نعرفه جيداً ، ويعرفه كل بشر عاقل هو ان الانسان مؤلف من ثلاث مقوّمات : جسد ، وحياة ، وعقل . اما الجسد فمادة محسوسة بالحواس الخمس لا شك في وجودها . واما الحياة فعمل كيماويّ من اعمال المادة . وهذا العمل يظهر لنا في توالد الاحياء ونموها وموتها وفي تحركها ايضاً . هذه هي ظاهرات الحياة في الانسان والحيوان والنبات . واما العقل فهو ايضاً عمل فسيولوجي من اعمال خليات الدماغ ، وظاهراته التصور والتخيل والتذكر والاستدلال الى غير ذلك مما يسميه علماء العقل « القوى العقلية »(١)

الجسد يرتد بعد الموت الى عناصره الكيميائية التي تؤلف منها . وحركة الحياة تبطل بعد الموت بانحلال الآلة التي كانت تتحرك بها . كما ان سير السيارة يبطل بتلف المحرك وسائر ادوات السيارة . وكذلك العمل العقلي يبطل بطلاناً كلياً بعد الموت بتوقف حركة الحياة في الدماغ . ويمكن ان يتوقف العمل العقلي برهة بتوقف حركة الخليات الدماغية الوقتي : إما بفعل المخدر او المسكر او النوم العميق الذي يرتاح فيه الجهاز العصبي كله من العمل . وليس النوم بالسر

---

(١) راجع مقال « عالم المجهول » بمقتطف مايو ١٩٤٥

العويص الذي يحتاج الى تفسير . فما هو إلاّ هـذه الراحة . وأما كيف يحدث ففي كتب الفسيولوجيا تعليل واضح له

غير هذه المقوّمات الثلاث لا نرى في الانسان مقوّماً رابعاً يسمى روحاً او نفساً أو أي اسم آخر . وما طرأت فكرة الروح على الانسان الاول الاّ لما صار يرى الاحلام ويتذكرها . فكان اذا رأى في المنام طيف ابيه الميت ثم تفقده في الصحو في رمسه ولم يجد الاّ جيفة متهدمة ، يحار في فهم هذا الطيف وفي تفسير سره . فكان يظنه شيئاً موجوداً حقيقة . ولكنه لا يفهم سره . فسماه روحاً او نفساً . وأخيراً لما نبغ الانسان في العلم ، صار يفهم ان هذا الطيف الذي يراه في الاحلام او في الرؤى التخيلية ، ما هو الاّ خيال من اختراع المخيلة لا يخرج عن كونه عملاً من اعمال خليات الدماغ . فعالم الأحلام والأرواح هو في كرة الدماغ وليس في خارجها البتة .

***

نحن نعترف بوجود مادة الجسد لاننا نشعر بها . ونعترف بوجود الحياة لأننا نحس بظاهراتها كالتوالد والنمو والموت، وان كنا لا نزال نجهل سر الحياة . ونعترف بوجود العقل لاننا نحس او ندرك أفعاله كالتصور والتذكر والاستدلال الخ . ولكننا لا نحس بوجود ظاهرات تدلنا على وجود شيء رابع فينا يسمونه روحاً .

ولذلك نسأل الذين يدّعون انهم يستحضرون الأرواح او يحاولون اثبات وجودها — نسألهم ان يخبرونا «ما هي الروح»

لا تستطيع ان تثبت لي وجود شيء قبل أن تخبرني ما هو هذا الشيء الذي تريد أن تقنعني بوجوده .

يقول حضرة الأستاذ ان النفس (او الروح) جسم اثيري مطابق تمام المطابقة للجسد المادي خليةً خليةً . يعني ان للانسان بدنين متداخلين بدن مادي مؤلف من عناصر كيميائية وبدن أثيري مؤلف من الأثير . وبحسب هذا الزعم يمكن أن ينفصل البدنان الواحد عن الآخر: إما بالموت وإمّا في الحياة بظروف خاصة . فمع أي البدنين تذهب الحياة ؟ ومع أيهما يذهب العقل ؟ أم ان كلاًّ من الحياة والعقل ينشطر انشطارين بين البدنين .

وما لنا ولهذا التفنيد في الزعم . نسأل الزاعمين ما هي الظاهرات المحسوسة الدالة على وجود بدن اثيري متغلغل في البدن المادي ؟ — لا ظاهرات البتة .

بل قبل التماس الدليل على البدن الأثيري نطلب اثبات وجود الاثير نفسه . الأثير نفسه لا ظاهرات له البتة، تدل على وجوده . وقد حاول احد العلماء الكبار هو ميكلسن اكتشاف

سرعة الاجرام في الاثير بعملية حاذقة . فأخفق . لان العملية اسفرت عن عدم وجود اثير . وكانت عمليته هذه سبباً في اكتشاف اينشطين ناموس النسبية .

وقد افترض علماء القرن الثامن عشر وجود مادة خفيفة لا وزن لها تملأ الفضاء قابلة للتموّج سموها اثيراً ، لكي يعللوا بها بعض ظاهرات الطبيعة . فكون فرض الاثير يسهل تعليل بعض الظاهرات الطبيعية ، لا يثبت وجود الاثير . لانه متى امكن تعليلها بدونه يسقط . ولذلك لما امكن اينشطين وغيره من العلماء ان يفسروا اكثر تلك الظاهرات من غير الاستعانة بالاثير ، قالوا استغنينا عن فرض الاثير .

الاثير مفروض فرضاً ولا برهان حسي عندنا على وجوده . وما دام لا برهان حسي عندنا على وجوده ، فلا قيمة للزعم ان للانسان بدناً اثيرياً وهو النفس او الروح .

وبناءً على ما تقدم لا قيمة لدعوى بعض الروحانيين انهم استطاعوا تصوير هذه الارواح الاثيرية أو هذه الابدان الاثيرية . ولا قيمة لكل ما يقوله بعض الناس المحسوبين علماء مهما ذكروا له من أدلة وبراهين وما ادعوه من مشاهدات وشواهد وزعموه من رؤى وأحلام ذات شأن . لأن الاساس الذي يبنون مزاعمهم عليه وهو الاثير لا وجود له او على الاقل لا اثبات لوجوده . وما تلك المزاعم والرؤى والاحلام الاّ اوهام في الادمغة فقط . واما إذا راموا ان يفرضوا فروضاً ويؤيدوها بدعاوى مشاهدات ورؤى واحلام ، فيمكن اعتبار جميع خرافات العوام السذّج ايضاً مشاهدات تؤيد تلك الفروض وتؤيد ما تشاء من الوف الفروض التي لا نهاية لها .

الانسان يستطيع ان يعلم كل ما يدخل الى دماغه عن طرق مشاعره الخمسة ، وجميع حواسه الباطنة ، ومدركاته العقلية مستمدة من معلومات تلك المشاعر ومستندة اليها . ومشاعره لا تحس الاّ فيما هو من طبائع المادة فقط . لا تحس شيئاً خارجاً عن المادة . وبذلك لا يمكن ان يعرف العقل شيئاً خارجاً عن المادة . فان كان الاثير ضرباً من الهيولى (اصل المادة) مهما كان لطيفاً ، فلا بد من ان تحس به حواسنا ولو بطريقة غير مباشرة كالكهربا والمغنطيسية والجاذبية . وحينئذٍ يقع تحت حكم العقل وتصرف قواه . واذن فالبدن الاثيري بهذا الاعتبار ليس إلاّ مادة قابلة التغير والانحلال والتفكك ، ولا يمكن هذا ان يتصرف تصرفاً مخالفاً لنواميس المادة . فلا يمكن ان يوجد في مكانين في وقت واحد ، ولا يمكن ان يتمرد على الزمان والمكان . فلا يمكن أن يكون في الماضي والمستقبل معاً . ولا يمكن أن يعمل عملاً خارقاً مما ينسب الى الارواح من الخوارق .

نقولا الحداد

مهداة الى محمود تيمور

... الى الوراء

كنت أحسب أني فرغت من تقرير مسألة رواية « أهل الكهف » لمصنفها صديقنا الاستاذ توفيق الحكيم حين قلت ، بعيد ظهورها ، انها مأخوذة عن كتاب اسمه « الالتفات الى الوراء » لمؤلفه ادوارد بيلامي طبعة « توخنتز »

Looking Backward, (١) by Edward Bellamy. Collection of British Authors Tauschnitz Edition, vol. 2690, 1887—1890.

وما كان يخطر لي ببال انك ستقف مني ، بعد سنوات عدة ، لتقول لي انك غير مقتنع بعد ، من صحة ما ذهبت اليه في أمر هذه القصة ، وحجتك في عدم الاقتناع ، انك لم تجد الكتاب الانجليزي في مكاتب القاهرة ! !

أما ان الكتاب موجود او غير موجود في مكاتبنا فهذا امر لا يعنيني ، لأن الناقد ليس مكلفاً باقتناء عشرات من نسخ كل كتاب ينقده أو يستند اليه في نقده يقدمها لكل أديب يطيب له الاطلاع عليها ليتأكد من صدق دعواه ، بل هو مكلف باقامة الدليل . والذي يهمني قبل كل شيء هو معرفة انتشار روح الجد في العمل عند الأدباء ، وميزان الصدق عندهم في التحري والتنقيب توصلاً الى الحقيقة .

تعلم يا صديقي أن السرقات الادبية ، وان تنوعت أوصافها ، تختلف باختلاف أمزجة السارقين ، ولعلّ أفضح السرقات الأدبية تلك التي ينتزعها الأديب من أماكن يتوهم انها مجهولة ومظان منسية ، فيقدمها على اعتبار أنها من طهي دماغه وعصارة تفكيره ، واليك الآن أدلة مقتطفة من الكتابين للمقارنة بين ما هو وارد في كتاب « الالتفات الى الوراء » وبين رواية « اهل الكهف » .

أفعل ذلك وأنا افرض بحسن نية ، انك قرأت رواية « اهل الكهف » وهكذا يحسن اطلاعك على ملخص وجيز لرواية « الالتفات الى الوراء » لتقبض على طرفي الحبل ، كما يقال ، ولا اقول لسماع كلام الخصمين لأن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم سكت سكوتاً طويلاً على التهمة التي ألصقتها به ولم يدفعها عنه ، ولكنه قال لي مرة انه لم يقرأ كتاب « الالتفات الى الوراء » ؟.

---

(١) طبع في امريكا حديثاً بمطبعة Modern Library No 22

شاب من الأثرياء مصاب بالأرق ينوَّم كل ليلة تنويماً مغنطيسيًّا على طريقة الميسماريزم، أحبَّ فتاة واتفق معها على البناء بها، وقبيل حفلة الزواج اشتعلت النار في المنزل الذي كان يسكنه، فأكلت كل شيء فيه ولكنها لم تصل « الى البدروم » الذي اتخذه هذا الشاب مأوًى له لبعده عن الجلبة والضوضاء، وقد ظنَّ ان الرجل مات احتراقاً .

تُرك البيت المحترق المتهدّم مدة مئة عام أو أزيد، ثم صحت عزيمة جيل من الورثة على اعادة بناء هذا البيت، وعند ما فتح « البدروم » وُجد فيه جثمان ذلك الشاب مسجى في سريره والى جانبه اوراق تدل تواريخها على انصرام مئة عام وأزيد، وان الشاب انما هو نائم نوماً مغنطيسيًّا . هنا تبتدئ حوادث الرواية وتنجلي مواقفها بالمقارنة .

(١) بطل قصة الالتفات الى الوراء ينام مئة عام وأزيد نوماً مغنطيسيًّا ويستيقظ استيقاظاً علميًّا .

وأبطال « اهل الكهف » ينامون ثلاثمائة عام ويستيقظون بفعل ربهم .

(٢) بطلة الالتفات الى الوراء فتاة غنية أحبها فتىً غنيّ كان على أهبة الاقتران بها إلاّ ان كارثة الحريق التي نزلت ببيته جعلتها تعتقد انه مات فحزنت عليه وارتدت ثياب الحداد مدة أربع عشرة سنة وبعدها تزوجت .

وبطلة اهل الكهف أميرة اعتنقت النصرانية حبًّا بشاب نصراني يعمل في ديوان أبيها الملك الوثني، فلما لجأ الشاب الى الكهف هرباً من فتنة اشترك فيها تلقاء والدها وانقطعت أخباره عن الأميرة، ارتدت المسوح حزناً عليه .

(٣) في رواية أهل الكهف يذهب « يمليخا » بعد يقظته الى أسواق طرسوس ثم يعود فيقص على صاحبيه ما رأى « قلت لكما لا تسألاني اليوم شيئاً » لقد صرتما أنتما أيضاً غريبين عني . أنتما البقية الباقية بعد ان مضى كل شيء كالحلم، آه لو رأيتماني وقد أحاط بي الناس في ثياب غريبة مختلفة على وجوههم ملامح غريبة » وقال أيضاً « وان كنتما لا تحسّان بعد بالهرم، فاني بدأت أحس بوقر ثلاثمائة عام ترزح تحتها نفسي »

ينسل بطل الالتفات إلى الوراء من البيت . فيذهب الى المدينة، يتنقل من شارع إلى شارع، فيجد انقلاباً عظيماً في الأشخاص والأشياء وفي طبائعها أيضاً فيعود إلى البيت وهو على حال من الاضطراب والغمّ، يقلّبه الواقع بين كفيّ التعقل والخبل، القناعة والشدة، اليقظة والحلم، وتعاوده آلام السنين المئة والأربع عشرة التي نامها فباعدت بينه وبين الجيل الحاضر : يحسّ انه مخلوق كباقي الناس غير انه يختلف عنهم بازدواج الشخصية ازدواجاً متناقضاً، ويشعر انه يحمل ثقل قرن كامل

(٤) في رواية أهل الكهف يصرخ « هرموش » في وجه صاحبه قائلاً « كفى هراء ، ولدي قد مات ولا شيء يربطني بهذا العالم ، هذه الحياة الجديدة لا مكان لي فيهـا » فيجيبه صديقه قائلاً بعد حوار « لا تفكر في هذا ، عدْ كما كنت أمس ، واسخر مما تسمع ، هاته الأعوام الثلاثمائة إن هي إلاّ كلمات وأعداد وأرقام ، ماذا تستطيع الأرقام أن تغيّر من احساسك بالحياة » .

وفي قصة الالتفات إلى الوراء يعود بطل القصة الى « البدروم » يجيل الطرف في نواحيه فيناجي نفسه قائلاً : هاهو ذا مكاني الوحيد، هاهو ذا المكان الذي احتواني قبل مئة عام فلأبق فيه إلى الأبد ، لقد مات الماضي ، ولم يعد لي مكان ولا معنى في الوجود ، لا أنا ميت مع الأموات ولا حي مع الأحياء

(٥) في رواية أهل الكهف يودع « مشلينا » الأميرة «بريسكا» الوداع الأخير قائلاً : « الآن أرى مصيبتي وأحس بعظم ما نالني ، لا يرموش ولا يمليخا » . رزئنا بمثل هـذا ، إن بيني وبينك خطوة ، بيني وبينك شبه ليلة ، والليلة أجيال (كذا) أمدّ يدي إليك وأنا أراكِ حية أمامي فيحول بيننا كائن جبار عجيب هو التاريخ» .

وفي قصة الالتفات إلى الوراء يدور حوار بين بطل الرواية وبطلتها يقول الأول فيـه « إني لأشعر بالوحشة الجاثمة على صدري . أليس موقفي من الحياة أشد وأعجب من موقف أي إنسان على الأرض ؟ موقف تُشل الألفاظ وتُفلج الكلمات في وصفه ، فلمَ لا أكون مستوحشاً ومستهجناً كل شيء حتى وجودي ونفسي أيضاً » ويقول لها « إن لطفك ودعتك وحنانك تكاد تنسيني حقيقة الأمر الواقع . وتكاد توهمني ان في طوقي الاندماج في جيلكم ونسيان الكائن التاريخي العجيب فأكون مثلكم أشعر بمثل ما تشعرون ، ولكني سمعت خطبة في المذياع(١) دار مذيعها البارع حول قصتي أقنعتني أن من العبث إنزال الوهم منزلة الحقيقة . إذن ما أبعد الشقة بيننا ، بل ما أبعدها بيني وبينك» .

(٦) يجد «مشلينا» أحد أبطال أهل الكهف في عنق الاميرة « بريسكا » الحفيدة ذات الصليب والسلسلة الذهبيين اللذين أهداهما إلى « بريسكا » الجدة

وبطلة قصة الالتفات الى الوراء تجد في عنق بطل الرواية سلسلة ذهبية فيها ايقونة بداخلها صورة جدتها خطيبته

(٧) في رواية اهل الكهف يقول المربي « غالياس » للاميرة « بريسكا » تنبأ عرّاف ساعة مولدك بأنك ستشبهين ابنة الملك دقيانوس الاميرة القديسة خلقاً وايماناً ، فتسأله بلهفة :

---

(١) تنبأ مؤلف قصة الالتفات الى الوراء بالمذياع منذ عام ١٨٨٧

«ترى هذا العرّاف قد صدق ، أو تراني أشبهها حقيقة ؟ ما أقساك يا فالياس ، انك لا تحس مبلغ رغبتي في معرفة تلك التي يزعمون اني أشبهها . أصحيح يا فالياس ان هـذا الصليب الذهبي الذي أحمله في جيدي منذ الطفولة كان صليبها » ؟.

وفي قصة الالتفات الى الوراء تقول والدة بطلة الرواية لبطل الرواية « تدعوك ظروف الحال وسرعة تقلبه الى معرفة من هي ابنتي وما هو سرها ، فأنا أقول لك انها بنت حفيدة خطيبتك واننا أسميناها باسم جدتها البعيدة تيمناً بذكراها ، فلما كبرت ابنتي أخذت تبحث عن كل شيء له علاقة بجدتها ، وكان في جملة ما وجدته في متروكاتها خطابات منك لجدتها وصورة لك احتفظت بها ، كما وجدنا في عنقك سلسلة ذهبية فيها أيقونة عليهـا صورة خطيبتك الجدة ».

(٨) في رواية أهل الـكهف تخاطب الاميرة بريسكا قائلةً ان ابنة دقيانوس الاميرة القديسة كانت تقول كلما أرغموها على الزواج انها مرتبطة بعهد مقدس لن تخونه .

وفي قصة الالتفات الى الوراء قالت والدة بطلة الرواية عن ابنتها « لقد أقامت خطاباتك لجدتها صورة لك في ذهنها ولذلك كانت تقول انها عاهدت النفس ألاّ تتزوج إلاّ اذا عثرت على رجل يضارعك في النبل وسموّ الأخلاق .

(٩) تستيقظ عوامل سعادة الحياة ، ويشع الفرح في نفس بطلة قصـة الالتفات الى الوراء ساعة اكتشاف شخصية الرجل الذي أحبّ جدتها بأمانة واخلاص فترتمي بين ذراعيه تهبه قلبها وتقول له « كنت أعتقد أحياناً ان روح جدتي يستقر فيّ . وكثيراً ما كنت أتوهم أني هي ، وهي أنا، وان لا أحداً منا يعرف من هو الآخر .

وفي رواية أهل الـكهف تقول بطلة الرواية لبطلها « انك تمزج شخصيتي بشخصية جدتي ، انك لا تراني أنا ، بل تراها هي فيّ ، نعم وجدت ورأيت وأحببت كل ما هو لها »

(١٠) ثم تلحق به الى الـكهف تبحث عنه بين الجثث فاذا به يردد صوتها بصوت خافت فتأخذ رأسه بيديها وتدعوه بلهفة جنونية الى الحياة قائلةً « عش » عش لي لا تمت ، اني أحبك » فيجيبها « لا نفع الآن بعـد أن فعل الزمن فعلته ، فتقول « ان القلب أقوى من الزمن ، وان ليس يهمها أن يكون حبه مصوباً الى الأميرة جدتها التي تشبهها وتقول من يدري لعلي هي ان هـذا الشبه ليس مصادفة ، ومقابلتنا ليست مصادفة كذلك ، انك بعثت لي وبعثت أنا لك بعثاً من نوع آخر »

وفي قصة الالتفات الى الوراء تخاطب بطلة القصة بطلها قائلة « ألست تعتقد أن الروح يعود أحياناً الى هذا العالم ليتم العمل الذي كان قريباً من غاية الوجود ؟ أقول لك اني كنت

البنسيلين

أثبت طبيبان انجليزيان هما دكتور الكسندر . ب . مكجريجور ودكتور دافيد .ا. لونج في مقال نشرته الصحيفة الطبية البريطانية ان اعطاء المرضى الذين يشكون احتقان الزور والتهاب اللوزتين واحتقان الزور وغيرهما من الاصابات الميكروبية التي تصيب الحلق وما يجاوره ، أقراصاً مصنوعة من مادة البنسيلين تمتص في الفم أشبه بالاقراص التي تمتص في حالات السعال ، علاج ناجع لهذه الحالات

فان الالم والحمى وجراثيم المرض قد زالت في أربعة وعشرين ساعة في بعض الحالات. وأجريت تجاريب في ٢٥ مريضاً عولجوا بالبنسيلين فزالت عنهم أعراض المرض في ٢٤ ساعة والتأمت بثور الحلق في خمسة أيام وكانوا يشكون تشقق اللسان والحلق . كذلك كل المظاهر الدالة على وجود جراثيم مرضية . ولم يظهر على الذين عولجوا أي عرض يدل على احتمال عودة المرض، والمعروف أن جيوب اللثة ، حتى بعد شفائها بالعلاج العادي ، قد تعود بعد زمن الى الظهور، وان اللثة بعد الشفاء تكون عرضة للاصابة بسهولة.

وفي حالات أخرى حصل المعالجون على نتائج مرضية جداً بعد ٢٤ ساعة في حالات الاحتقان اللوزي المسبب عن الميكروب السبحي Streptococcus ، خفت الاصابة وزالت الحمى . وشخص بالغ استطاع أن يأكل غذاء جافاً بعد ٢٤ ساعة من علاجه بالبنسيلين ، وكان مصاباً اصابة حادة بالحمى القرمزية

أعتقد أحياناً ان روح جدتي يستقر فيَّ . وهل تستغرب أن يكون لي هذا الشعور ، وأن تكون حياتي قد تأثرت بها وبك أنت دون أن أراها وقبل أن أراك » .

ألا يكفيك يا صديقي العزيز ان أنقل اليك هذه المواقف التي نقلها صديقنا العزيز توفيق الى روايته عن تلك القصة الرائعة !

في النصرانية حكاية عن أحد حواري المسيح يدعى توما ، وهذا قال لزملائه « اذا كنت لا أرى أثر الحربة في جنب المسيح وأضع أصبعي في أمكنة المسامير في يديه ورجليه، فلن أؤمن بقيامته من الأموات » ويقال ان المسيح ظهر لتوما وقال له « طوبى لمن لم يرني وآمن بي » .

حبيب الزحلاوي

من أنواع النبات

الطبي

﴿حَبُّ الفَهْم﴾ هو البَلادِر والبَلاذِر ثمر شجر من الفصيلة الأَنَقَاردِيَّة ينبت في جزائر الهند الشرقية اسمه النباتي Semecarpus Anacardium وبالانكليزية Marking Nut Tree وبالفرنسية Anacarde Oriental عصارة ثمره المرّ تستعمل صبغاً أسود لعمل إشارات على الأثواب وغيرها وله منافع عرفها الاطباء القدماء

﴿حَبُّ القَلْتِ﴾ هو الماش الهندي بزر نبات من الفصيلة القَرْنِيَّة اسمه النباتيّ Dolichos biflorus وبالانكليزية Horse Gram وبالفرنسية Dolic biflore ينبت في قُلَّة الجبل بمَدْرَاس في الهند حيث تقلّ المياه . وهذه البزور حارّة لاذعة يتداوى بها الهنود .

﴿حَبُّ الكُلَى﴾ بزور جَنْبَة أي شجيرة من الفصيلة القرنية اسمها النباتي Anagyris fœtida وبالانكليزية Bean Trefoil وبالفرنسية Bois Puant وهذه البزور تشتمل على شبه قلويّ يسمَّى « اناجيرين » من مركباته هيدروبروميد الاناجيرين وهو منبّه للقلب . وقد تستعمل البزور ضد أوجاع الكليتين والاوراق مسهلة للبطن.

﴿حَبّ هان﴾ هو الحَبَّهان ويقال له الهال ثمر نبات من الفصيلة الزنجبيلية أو السكيتامنية ينبت في المنطقة الحارّة من أفريقية اسمه النباتي Amomum Melegueta وبالانكليزية Melegueta Pepper ، Grains of Paradise وبالفرنسية Graine de Paradis; Minguette.

ويطلق الحَبَّهان أحياناً على ثمر نبات آخر ينبت في جزائر الهند الشرقية من الفصيلة نفسها اسمه النباتي Elettaria Cardamomum وبالانكليزية Lesser Cardamom وبالفرنسية Petit Cardamome وهو المعروف باسم القَرْدَيُون والقَرْدَمانا على ما سيأتي في مقال آخر . وكلا النوعين من العطر والأفاويه مقوّيان للمعدة والكبد .

﴿ الحَرْشَاء ﴾ معروفة في مصر بالجِرْجِير ويقال الجِرْجِر والجَرْجَر ويُعرف عند العامّة بالفُجَّيلة نبات يزرع من الفصيلة الصليبية اسمه النباتي Eruca sativa وبالانكليزية Rocket وبالفرنسية Roquette قيل إن أكله مضاد لداء الحفر الاسقربوط)

﴿ الحزَنْبل ﴾ نبات عطري مرّ الطعم من فصيلة القيصوم والبعيثران (المركبة) اسمه النباتي Achillea Millefolium وبالانكليزية Milfoil; Nosebleed وبالفرنسية Herbe aux Charpentiers; Millefeuille وهو منبه قليلاً ونافع للجروح وفي تفتيح السدد وتحليل الرياح وذكر له ابن فائد أربعاً وثمانين منفعة . يشتمل على شبه قلوي يسمى « اشيلين » يتداوى به أحياناً مضاداً للحمى .

﴿ الحَسَك ﴾ ويقال له حَمَص الأمير وضِرْسُ العجوز نبات له أشواك قوية من الفصيلة الزيجوفيلية ينبت بطبيعته في مصر اسمه النباتي Tribulus terrestris وبالانكليزية Turkey—blossom وبالفرنسية Trubule terrestre وهو مفتح ومدرّ للبول

﴿ حصا لُبانٌ ذكرٌ ﴾ هو الكُندُر وباليونانية خندروس ضرب من العلك أي صمغ شجر منه نوع يكون بجبال اليمن والصومال من الفصيلة البخورية اسم جنسه النباتي Boswellia وبالانكليزية Incense Tree وهذا الصمغ يستعمل في الروائح العطرية وبخوراً ويتداوى به مدرًّا للطمث .

﴿ الحضُض ﴾ هو النبات المعروف في مصر بالعوسج من الفصيلة الباذنجانية اسم جنسه النباتي Lycium وبالانكليزية Box Thorn وبالفرنسية Liciet; Lyciet تشتمل أوراق

نوع منه على شبه قلويّ يسمى « ليسين » يتداوى به ويطلق الحضض على نبات آخر من الفصيلة النبقية اسمه النباتي Rhamnus infectoria وبالانكليزية Dwarf Buckthorn وبالفرنسية Nerprun des Teinturiers يشتمل على عصارة تصنع منها أقراص قابضة .

﴿ الخَامِشَةُ ﴾ الشِّيْطَرَج معرَّب چِيْتَرَك بالفارسية شجيرة صغيرة من الفصيلة الرصاصيَّة ذات أزهار بيض وجذور طوال رطبة مرَّة ومُسمَّة يستعملها أهالي الهند أحيانًا في أغراض غير مشروعة . اسمها النباتي Plumbago zeylanica وبالفرنسية Dentelaire de Ceylan

﴿ خُبْزُ الغُرَابِ ﴾ البَهَارُ والعُرَارُ ويقال له عَيْنُ البَقَر (كاوْجَشم الفارسيَّة) وبَهَارُ البرّ . نبت من الفصيلة المركَّبة طيب الريح جعد ينبت أيام الربيع ورده أصفر الورق أحمر الوسط أسمن من ورق البابونج . اسمه النباتي Anacyclus radiata وبالفرنسية Camomille de Valence استعمله الأطباء قديمًا في أمراض العيون .

﴿ الخَرْقْ والخَرْقَةُ ﴾ عشب قصير زحَّاف من الفصيلة الرجليَّة معروف في مصر بالرجلة ويقال له العرفج والبقلة الحمقاء . قيل لها ذلك لأنها لا تنبت إلاّ في مسيل الماء فيقتلعها الماء ويذهب بها . ومنه المثل هو أحمق من رجلة . اسمها النباتي Portulaca oleracea وبالانكليزية Purslane وبالفرنسية Pourpier والرجلة تستعمل خضراً بسبب خاصَّتها المبرِّدة والمضادَّة لفساد الدم (الاسكوربوط)

﴿ الخِلال ﴾ حشيشة تسمى بالخلال المأموني لأن المأمون كان يتخلَّل بها ويقال لها الإذْخِر والإِذخِر وحَلْفَة مَكَّة وطيب العَرب من الفصيلة النجيلية اسمها النباتي Andropogon Schoenanthus وبالانكليزية Lemon Grass وبالفرنسية Citronnelle; Roseau de la Mecque; Jonc Odorant اعتبره الأقدمون محللاً ومفتحاً ومقطعاً ومنضجاً للاخلاط اللزجة ونافعاً للفالج واللقوة والنسيان .

محمود مصطفى الدمياطى

مكتبة المقتطف

نتلقى كثيراً من الكتب المؤلفة والمترجمة حتى لقد يضيق الفراغ الذي نخصصه لباب المكتبة عن استيعاب النقود التي نعقدها عن هذه الكتب . فآثرنا أن نجعل مكتبة المقتطف بابين الاول للنقد والثاني للتنويه ، فننوه بجميع الكتب التي تصلنا في الباب الثاني ، وننقد ما ننقد منها في الباب الاول . هذا فضلا عما ننشر في باب المقالات من النقود المطولة .

فلسفة الاخلاق في الاسلام

وصلاتها بالفلسفة الإغريقية

تأليف الاستاذ محمد يوسف موسى — مطبعة الرسالة — ٣٠٤ صفحة من القطع الوسط
الطبعة الثانية — نشر دار الكتب الاهلية

بحث طريف يستهويك حقًّا إذ تقبل على قراءته ، فأنت تمضي فيه مضياً ، لأنه عجب ، وأنه يجري في سهولة ويسر امتاز بهما المؤلف في كتابته وما يطالع به جمهور قارئيه . وقد وجدت الطبعة الأولى من اقبال القراء ما دفعه أن يصدر هذه الثانية متضمنة زيادات وتعديلات وتحقيقات قيمة .

وقد بدأ الاستاذ كتابه بفصل إضافي يؤرخ فيه الأخلاق في الجاهلية والإسلام قبل عصر الفلسفة، واستطاع أن يجد توافقاً بين نظرية سقراط في أن «الفضيلة المعرفة» وبين قول زهير:

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه   إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ثم هو يعرض أخلاق العرب مستشهداً بشعرهم وحكمهم ووصاياهم، وذلك في إيجازٍ يود القارئ لو طال ، ولكن طبيعة الكتاب لا تحتمل الإسهاب في هذا الوجه ، فعسى أن يوفق المؤلف إليه في كتاب خاص يقرن فيه بين فلسفة البداوة العربية وبين الفلسفات الخلقية الأخرى.

وقد استشهد المؤلف في الكلام على معرفة الخير والشر بقول زهير :

الستر دون الفاحشات ولا   يلقاك دون الخير من ستر

وفهم منه أنه «يريد أن يجعل استحياء المرء من أمرٍ، ورغبته في ستره، أمارة أنه شر»

والحق أن زهيراً لم يرد ذلك ، وإنما عنى أن بين الممدوح وبين الفاحشات ستراً من الحياء ، ولا ستر بينه وبين الخير (١) ، ولم يقصد به تقرير مبدأ ، أو تنويهاً بمذهب خلقي .

وقد اختار الاستاذ ثلاثة من فلاسفة الإسلام يمثلون ثلاث مذاهب مختلفة في المبادىء الأخلاقية ، فمسكويه ممثل للأخلاق الفلسفية الصريحة ، والغزالي ممثل للأخلاق الفلسفية الدينية ، وابن عربي ممثل للأخلاق المبنية على التصوف . ورسم صورة عاجلة للحالة العامة في عصور هؤلاء الفلاسفة .

بيد أن جعل « مسكويه » ممثلاً للأخلاق الفلسفية الصريحة قد يتضاءل بعض الشيء حينما يتكلم المؤلف على « نزعته التوفيقية » بين ما يختار من آراء وبين ما يناسبها من حكم الدين والشريعة ، لأنها كما يقول مسكويه ص ١٠٩ « هي التي تقوّم الأحداث ، وتعوّدهم الأفعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ للسعادة » فمسكويه لا يمثل الأخلاق الفلسفية الصريحة بكل ما يدل عليه هذا التعبير ، بل هو ينظر دائماً إلى الدين في الوقت الذي ينظر فيه إلى الفلسفة .

وقد وفق الأستاذ أيما توفيق في الرد على من زعم « أن الضمير لا وجود له في ذاته » وأن الغزالي أغفله فيما أغفل وساق لذلك أدلة قوية في ص ١٣٨ — ١٤٢ . ولكنه لم يوفق في التعبير عن الغزالي في ص ١٩٤ بأنه يعمل على « انتهاب آراء غيره » فإن للإمام الغزالي احترامه بين المفكرين والباحثين ، فليس يصلح أن يقال فيه حين يرتضى رأي غيره أن يقال إنه إنتهبه واغتصبه ، أو سرقه كما يفهم من التلميح في ص ١٩٩ . وذلك لأن الرأي مشاع مشترك بين الناس ، ولأن استعمال الغزالي ألفاظ غيره كلها أو بعضها لا يعد سرقة وانتهاباً ، فان ذلك انما يصح أن ينسب الى صغار المفكرين المتسولين ، لا إلى من لهم دنيا عريضة من الآراء والمبادىء . . وكثيراً ما يشتد الوعي والحفظ عند المفكر حتى يكتب الصفحات العديدة من آراء غيره وكلامه ، ناسياً انه كلام هذا المفكر أو ذاك ، وذلك لشدة التباس هذه الآراء بنفسه وتمكنها من قلبه .

وفي كلامه على التفسير المنسوب لابن عربي يقول في ص ٢٢٣ : « على أن في نفس هذا التفسير دليلاً ماديًّا يجعله لغير ابن عربي (قطعاً) ، ذلك انه في تفسير قول الله تعالى في سورة القصص : « واضْمُمْ إليْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ » يذكر المؤلف نقلاً عمن سمعه عن شيخه المولى نور الدين عبد الصمد . ولا يعنينا هنا ذكر هذا النقل ، انما الذي يعنينا ان نور الدين عبد الصمد هذا توفى في حدود عام ٦٩٠ هـ فلا يمكن ان يكون شيخاً لابن

---

(١) أنظر ديوان زهير بشرح الشنتمري ص ٦٤ .

عربي الذي توفي عام ٦٣٨ . والأمر بعد هذا لا يحتاج الى دليل آخر .

وليس هذا دليلاً قطعيًّا كما ذكر الأستاذ ، فان المتتبع للمخطوطات العربية يلفى كثيراً من الحواشي التي أدخلت في اصلاب الكتب الأصيلة وخفيت على بعض القارئين . ولست أذهب بذلك الى أن التفسير لابن عربي ، بل أقول : إن هذا النوع من الاستدلال استئناسي ظني ، لا قطعي يقيني .

كما ان الأستاذ في رده على مسكويه ص ٩٢ في قوله ان التفضل لم يخرج عن شرط العدالة التي هي وسط بين طرفيها الملومين ، وانما هو « احتياط حازم من صاحبه ليأمن التقصير ويصيب الوسط » قال ناقداً ذلك : « . . . واعتقد انه لم يصب المحز . قد يكون التفضل احتياطاً فيما يشتبه فيه العدل . أما في الأمور التي هي كمسائل الحساب في وقتها وضبطها ، أو التي هي من قبيل الحساب ، كشريكين ربحا مائة من الجنيهات — يريد الدنانير — فرضي أحدهما أن يأخذ لنفسه أربعين فقط ، فلا أدري كيف ولماذا يكون الاحتياط ؟ ! » .

وهذا المثل الذي ساقه ليس من الدقة بمكان ، فان الشركة أيضاً مظنة للاحتياط حين القسمة ، فقد يظن أحد الشريكين أن زميله أولى بالزيادة لما بذل من جهد ذاتي أو معنوي فيما عاد على الشركة من أرباح .

وذكر الاستاذ في ص ٨٢ تعليقاً على قول مسكويه « فيعف ويشجع ويحكم » بقوله « لعلها من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً » ولا ريب في هذا التفسير الذي ذكره ، حتى يستدعي « لعل » وأشباهها .

وفي ص ١٠٨ ذكر من كلام مسكويه : « والشره والخمود » صوابها « الشِّرَّة » بكسر الشين وتشديد الراء المفتوحة ، وهي النشاط . وفي الحديث : « إن لهذا القرآن شِرَّة ، ثم إن للناس عنه فترة » وهي التي تقابل الخمود ، لا الشره .

وذكر الاستاذ في ص ١٠٧ المثل العامي : « صديقك يمضغ لك الزلط » وليس أولى بهذا المقام من المثل الفصيح : « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » .

وذكر أيضاً في ختام كتابه فهرس المراجع الهامة ، مرتبة حسب ورودها في البحث ، ومما يسترعي النظر أنه جرى على هذه الطريقة أيضاً في كتابه القيم : « ابن رشد الفيلسوف » . وترتيب هذه المراجع حسب ورودها في البحث ليس له قيمة فهرسية خاصة ، وكان أولى به أن يرتبها على حروف المعجم ، وهو فاعل إن شاء الله .

وقد ذكر في ص ٨٧ من مراجعه « الإمتاع » نشر الأستاذ السندوبي ولا ريب أنه يريد « المقابسات » لا الإمتاع .

ثم نعود أدراجنا إلى عنوان الكتاب فنجد فيه كلمة « الفلسفة الإغريقية » وليس كذلك يقولها العرب . والأجدر أن تجعل « الفلسفة اليونانية » .

وبعد فالأستاذ الجليل محمد يوسف موسى حقيق بأن يهنأ بهذه (الطبعة الثانية) من كتابه ، حري بكل تقدير وتكريم .

عبد السلام محمد هارون

الشرع واللغة

للأستاذ الشيخ أحمد شاكر

الأستاذ احمد شاكر من العلماء الذين أوتوا حظًّا كبيراً من الشجاعة في القول ، والبصر في الدفاع عن الحق ، والالتزام لما يوجبه أدب البحث والمناظرة ، ورسالته هذه مع لطف حجمها ، تمثل هذه الخصائص فيه .

فقد نشر سعادة عبد العزيز فهمي باشا اقتراحه كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، وتناوله من الناحية الفنية كثير بالرد ما بين غال ومعتدل ، أما الاستاذ شاكر فقد ترك هذه الناحية ، وتناول مسائل ثلاث — أقحمها الباشا في كلامه إقحاماً — هي في الصميم من القرآن والدين والتشريع والاجتماع ، وهي من الخطورة بحيث لا ينبغي لمسلم يعتز بدينه ويغار على شريعته ويريد الخير لأمته أن يغفلها أو يتهاون فيها .

١ — أولى هذه المسائل ما ذهب سعادة الباشا من موافقة المستشرقين في ان الجانب الأكبر من القراءات التي نزل القرآن بها فيما نعتقد يرجع الى خصائص الخط العربي التي تجعل رسم الكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة ، وبخاصة حين يضاف الى هذا فقدان النقط والشكل والاعراب . وقد كان رد الأستاذ على هذه الفرية ردًّا محكماً مؤيد بالدليل .

٢ — والمسألة الثانية هي ماذكره عن الباشا بحروفه من ان الدين عقيدة وعبادة فحسب، وأما الشريعة فليست في شيء منه ، وإذاً فلنا ان نختار ما نرى من قوانين اوربا ص٤٢ـ٦٠).

ولا أريد ان ألخص ما جاء به الأستاذ في هذا القسم القوي جدًّا من الرسالة ، فذلك يذهب بالكثير من جماله وجلاله ، وخير للقارىء ان يقرأه كله بنفسه . ولكني أذكر انه من العجيب المؤلم ، او السخرية اللاذعة ، أن يذهب الباشا هذا المذهب في فهم الدين الاسلامي فيذهب بشطره ، ويسوّي بينه وبين ما سبقه من أديان !

٣ — والمسألة الثالثة هي وجوب أن يكون الكتاب والسنة مصدر القوانين في مصر وقد جاء في ذلك بمحاضرة كان أعدّها منذ سنين وحيل بينه وبين القائها . وقد تكلم فيها عن أثر القوانين الاجنبية إذا حكمت بها الامة زمناً طويلاً ، هذه القوانين التي عملت على

صبغ الأمة صبغة إلحادية ، والتي كان منها ان زادت الجرائم ما دام المجرم لا يشعر بإثم أو خوف من الله أن إتيح له أن يتفلت له من القانون .

والأستاذ الفاضل لا يدعو في هذه الناحية الى التقاليد بل لا يدعو الاّ الى اختيار الخير من آراء المشرعين المسلمين ومن آراء رجال القانون مما يدخل تحت قواعد الكتاب والسنة

وبعد ، فهذه رسالة قيمة يشع منها نور الاخلاص للدين والحق ، وتشيع فيها الرغبة في العمل لما فيه خير للامة في حاضرها ومستقبلها . والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

محمد يوسف موسى

---

١ — مشكلة البطالة : تأليف حسين حمدي عضو مكتب البحوث الفنية بوزارة الشئون الاجتماعية ، بحث علمي ودراسة مقارنة ، نشرته جماعة الكتاب ، ويطلب من مكتبة النهضة المصرية ٤٣٢ صفحة من القطع الاوسط ، ١٩٤٤

٢ — أسرار المراهقة في الفتاة : تأليف الدكتور أندراوس شخاشيري ، حوار دار بين والدة وابنتها حيناً وبين والد وابنته حيناً آخر على دور المراهقة في الفتاة وما يجب أن تكون عليه من صحة جيدة ونظام حسن في معيشتها وما يجب عليها أن تعلمه عنه وتعمل به وهي في هذا الدور الخطير الذي لاشك انه ركن كبير الشأن يقوم عليه نظام صحتها وسعادتها ، الطبعة الثانية ، ٨٨ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥

٣ — الانجليز كما عرفتهم : تأليف أمين المميّز ، مطالعات ومشاهدات عن المجتمع البريطاني ، الجزء الأول ، طبع بمطبعة السكك الحديدية للحكومة العراقية ، بغداد ، ٣١٢ صفحة من القطع الكبير . ستة فصول في العدل والقضاء والرأي العام والتربية والرياضة والدين الخ . لم يذكر به سنة الطبع

٤ — القومية والعروبة : تأليف نقولا زيادة خريج جامعة لندن والأستاذ بالكلية العربية والمدرسة الرشيدية ببيت المقدس . نشرته مكتبة الطاهر بيافا وطبع بمطبعة اللواء بالقدس ، ١٠٦ صفحة من القطع الاصغر . ١٩٤٥

٥ — ساعات الصمت : تأليف الاستاذ محمد أمين حسونة ، شعاره : الصمت عدة الأرواح الكبيرة وغذاء المفكرين . مقالات في النقد والتأمل ، ١٧٢ صفحة من القطع الاوسط ، ١٩٤٥ القاهرة

٦ — الأسرة والمجتمع : تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي . أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . التزمت «طبعه» ونشره دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . والكتاب من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية ، ١٤٢ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٥ القاهرة .

٧ — نساء عاشقات : بقلم صلاح الدين المنجد ، من منشورات أصدقاء الكتاب ، مطبعة الترقي بدمشق ، الطبعة الأولى ، ٩٦ صفحة من القطع الاوسط ، ١٩٤٥

٨ — البلاغة العصرية واللغة العربية : تأليف الأستاذ الكبير سلامه موسى ، نشرته المطبعة العصريَّة ، ١٤٨ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥ ، القاهرة . وهذا الكتاب من الكتب الفذة الجديرة بالدرس والنقد ، وسنفرد لدرسه مقالاً خاصًّا في عدد مقبل من المقتطف .

٩ — الشوق العائد : مجموعة شعر للاستاذ الشاعر علي محمود طه المهندس . نشرته دار احياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

وهذه المجموعة من عيون الشعر الحديث وكفى ان مؤلفها شاعرنا الكبير علي محمود طه ، والطبع غاية في الاتقان ، والغلاف قطعة فنية رائعة جديرة بان تصدر عن ريشة الفنان عبد العزيز خالد درويش . أخرجته شركة فن الطباعة في ثوب رائع من الفن الصحيح ، ١٣٠ صفحة من القطع الأوسط .

١٠ — الحريَّة : مجموعة شعر من تأليف يوسف الخال ، من منشورات دار الكتاب ، ١٠٠ صفحة من القطع الصغير ، طرابلس الشام ، ١٩٤٤

١١ — الصهيونية : تأليف أنور كامل . وهو مهدى إلى المجاهدين الأحرار الذين بذلوا دماءهم في فلسطين دفاعاً عن قضية العرب . مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ٦٤ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٥

١٢ — روح التربية والتعليم : تأليف محمد عطية الابراشي خريج جامعتي اكستر ولندن وأستاذ التربية وعلم النفس بدار العلوم . نشرته دار احياء الكتب العربية بالقاهرة . الطبعة الثانية : ١٩٤٤ ، ٢٧٦ صفحة من القطع الأوسط

١٣ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى : للدكتور زكي محمد حسن ، نشرته دار المعارف بمصر . والكتاب مطبوع أفخر طبع وقد نقل رسومه الاستاذ فريد شافعي المهندس

بالقصور الملكية والمدرس المنتدب بمعهد الآثار الاسلامية بجامعة فؤاد الأول، ١٩٢ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥

١٤ — التعليم في رأي القابسي : تأليف الدكتور احمد فؤاد الاهواني وملحق به الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي . نشرته مكتبة الخانجي بمصر . وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ، ١٩٤٥

١٥ — ذكرى الأفغاني في العراق : بقلم عبد المحسن القصاب المحامي (١٣٦٤هـ—١٩٤٥م) أصدرته ببغداد مطبعة الرشيد ، ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط .

١٦ — مرايا الناس : تأليف السيدة الفاضلة وداد سكاكيني ، من منشورات لجنة النشر للجامعيين ، وتوزعه مكتبة مصر بالقاهرة ، ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، (١٩٤٥) . وسنعود الى نقده بما يستحق من العناية .

١٧ — البيادر : للاستاذ ميخائيل نعيمه ، التزمت طبعه ونشره دار المعارف بمصر ، ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط ، ولنا نظرة أخرى فيه .

١٨ — توفيق الحكيم : تأليف المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي التزمت طبعه ونشره دار سعد مصر للطباعة والنشر ، (١٩٤٥) ، وهو نقد وتحليل وعرض ، ٢٣٢ صفحة من القطع المتوسط .

١٩ — في تلك الأيام عاش المعري : تأليف عبد الرحمن جبير ، نشرته المطبعة الوطنية بحلب ، ٨٨ صفحة من القطع الأوسط ، (١٩٤٥) .

٢٠ — مشكلة الفلاح : من مطبوعات لجنة نشر الثقافة الحديثة ، صدر عن دار القرن العشرين للنشر — القاهرة (١٩٤٥) ٨٠ صفحة من القطع الصغير ، ولنا عودة الى هذا الكتاب .

٢١ — الروائع لشعراء الجبل : الجزء الاول من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة الحديثة تأليف الشاعر النابه الاستاذ محمد فهمي أهداه الى أرواح الثلاثة الخالدين من شعراء الجيل م . ع الهمشري وأبو القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير . وسنعقد فصلاً في نقد هذا الكتاب ننشره في عدد مقبل من المقتطف .

باب الأخبار العلمية

البنسلين

تتبعت المقتطف تجارب البنسلين ، ووافت قراءها تباعاً بأنباء تأثيره في مختلف الأمراض وقد أفضى حضرة صاحب السعادة الدكتور علي توفيق شوشه باشا وكيل وزارة الصحة ، بحديث إلى مندوب « الاهرام » ذكر فيه نتائج البحوث التي اجريت في معمل الرمد التذكاري بالجيزة لعلاج الرمد بمادة البنسلين ، فقال :

« يعد الرمد الصديدي من أهم العوامل التي تؤدي إلى فقدان البصر ، وخاصة إذا كان ناشئاً عن عدوى « الجونوكوك » وميكروب السيلان ، فلما كشف البنسلين ، وعرف تأثيره العجيب في علاج السيلان ، كان من الطبيعي أن يتجه التفكير إلى استخدامه في هذا النوع من الأرماد الصديدية ، ما دام الميكروب المسبب لها واحداً . وقد جرب البنسلين في شكل قطرة ومرهم ، توضع مراراً في العين ، فوجد تأثيره ضعيفاً وفائدته محدودة . لذلك رؤي تجربته بطريق الحقن ، فاستعمل حقناً في العضل كل أربع ساعات لمدة ٢٤ ساعة واقتصرت التجارب على الرمد الصديدي الناشىء من ميكروب الجونوكوك وحده .

وقد اختيرت لهذا الغرض ، ثلاث حالات لأشخاص تتفاوت أعمارهم ودرجة إصابتهم . إحداها لغلام في التاسعة من عمره ، والثانية لطفلة عمرها أربع سنوات . والثالثة لرجل عمره ٤٥ سنة . وكانت إصابة الغلام برمد صديدي خفيف غير مصحوب بمضاعفات ، وقد أظهر الجونوكوك عند هذا الغلام قوة مقاومة شديدة للبنسلين ، فلم يختف الميكروب من عينه إلا بعد عشر ساعات ، أي بعد ثالث حقنة . ومع أن الحالة تحسنت من الوجهة الاكلينيكية — إذ قلّت الإفرازات واختفى ورم الجفون واحتقان الملتحمة ، واستطاع المريض فتح عينيه ، فقد ظهر الميكروب ثانيةً بعد ٢٥ ساعة من آخر حقنة .

وكان الرمد الصديدي عند الطفلة مصحوباً بقرحةٍ خفيفة في العين اليسرى وقد اختفى الميكروب بعد ثلاث ساعات من أول حقنة ، وتحسنت حالة الجفون والملتحمة من الوجهة الاكلينيكية ولكن بقيت القرحة كما هي ، ثم عاد الميكروب إلى الظهور بعد ٢٤ ساعة من آخر حقنة .

أما إصابة الرجل فكانت أشد . وذلك إن الرمد الصديدي عنده كان مصحوباً بقرحةٍ مع فتق (قرحة منبثقة) في العين اليسرى . وقد اختفى الميكروب بعد ثلاث

ساعات أيضاً ، وتحسنت حالة الجفون والملتحمة وخاصة في العين اليمنى ، إلاّ أن القرحة والفتق القرحي واحتقان العين وما بها من الآلام ، كل هذه لم تتحسّن ، ولذلك ظهر الميكروب بعد ٤٨ ساعة من آخر حقنة .

وقد وضعت الحالات الثلاث التي تقدّم ذكرها موضع الملاحظة والفحص ثلاثة أيام أخرى . بدون أي علاج . فلما لم يختف الميكروب ولم تلتئم القروح ، أجريت بعض العلاجات النوعية ثلاثة أيام فاختفى الميكروب من أول يوم ، والتأمت القروح .

وقد تبين أن الوقت الذي أعطيت فيه الحقن (وهو ٢٤ ساعة) لم يكن كافياً . ولهذا أجريت التجربة في حالتين ، وأعطيت الحقن لهما مدة ٤٨ ساعة ليلاً ونهاراً . فشوهد التحسن من الناحية الاكلينيكية إلاّ أن هذه الطريقة كانت متعبة وغير عملية لأنها تستدعي تخصيص طبيب لاعطاء الحقن ليلاً كل ثلاث ساعات . وهذا يتعذر تنفيذه إذا كان عدد المرضى كثيراً ، كما هي الحال في الأرماد الصديدية . وهنا قال الدكتور شوشة باشا :

والخلاصة أننا وجدنا أن هناك تأثيراً لمادة البنسلين في الأرماد الصديدية البسيطة ، والتي لا تكون مصحوبة بالمضاعفات التي يسببها ميكروب الجونوكوك ، غير أن طريقة العلاج بهِ تحتاج إلى تخصيص أداة طبية تتفرّغ لحقن المريض ليل نهار مما يجعل تنفيذها من الوجهة العملية غير مستطاع ، وخاصةً اذا لاحظنا أن حالات الأرماد الصديدية كثيرة الانتشار في المدن والريف

ثم اختتم الدكتور شوشة باشا حديثه قائلاً : « وأرى أن أذكر لهذه المناسبة ، أن كثرة انتشار الرمد في مصر ، حملتني على التفكير في استخدام بعض المركبات النوعية التي أثبتت التجارب والمشاهدات شدة تأثيرها ، على ألاّ يكون استخدامها مقصوراً على المستشفيات الرمدية ، بل يشمل ذلك جميع الوحدات التابعة للوزارة في الأقاليم

عودة الى دولاب الخزاف

وردت الأنباء من بلاد الدنيا الجديدة بأن المصانع الأميركية أصبحت تعتمد اليوم على آلات صناعية قديمة العهد في انتاج أحدث الأسلحة الحربية . فدولاب الخزّاف مثلاً ، الذي يسوي به الخزاف آنيته يرجع تاريخ اختراعه الى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ورغم ذلك فان العمال الأميركيين يستخدمون في صناعة القنابل أجهزة مماثلة لدولاب الخزاف ليستطيعوا بواسطتها تشكيل القنابل حسبما تقتضي الحاجة . وقد برهن هذا الأسلوب الانتاجي على زيادة كبيرة في انتاج القذائف ، كما انه خفض نسبة « الخردة » لأن عملية تسخين المعادن لدرجة المرونة جعلت من المتيسر انتاج قذائف متقنة الصنع مضبوطة الأبعاد .

وديع فلسطين

دراسة الفيرس

ميكروسكوب يكبر ٥٠ الف ضعف

قد تؤدي الاكتشافات الحديثة عن الأحياء المتناهية الدقة من الميكروبات والفيرس الى القضاء على عدد من الأمراض الخبيثة . فان فحص هذه الاحياء بالميكروسكوب الكهربائي أتاح للطب فهماً عميقاً لحياتها الغامضة ، وألقى ضوء وضح كيف تعيش وكيف تعمل .

فقد قال الدكتوران ستيوارت مود وتوماس اندرسن في النشرة الأخيرة للجمعية الطبية الاميركية ان الانسان لم يستطع مشاهدة هذه الأحياء العادية ذات الخلية الواحدة لعدة قرون خلت . ولهذا لم يستطع مقاومتها. أما الآن وبفضل هذا الميكروسكوب المضيء فتيسر له دراسة هذه الاحياء التي كانت تنفذ لدقتها من المرشحات . فان الميكروسكوب الكهربائي يكبر حجمها الى ٥٠٬٠٠٠ ضعف فأتاح للطب بما أعطاه من معلومات عنها أن يقاتلها ويوقف ضررها . فقد تيسر بواسطته رؤية جدران الخلايا وميز بين رؤوس الاحياء وأذنابها مثل ميكروبات حمى التيفوس .

***

ومن هذه الدراسات تبين ان بعض هذه الاحياء تتطفل على خلايا الجسم بينما يعيش غيرها دون عائل مستغلاً ضوء الشمس والكبريت أو الامونيا كمصدر لنشاطه . وتتناول الابحاث الميكروسكوبية الكهربائية الآن البحث عن مصدر الاجسام الضارة التي يفرزها الفيرس الذي ربما أدّى وجوده في الخلية الى فقد توازنها الكيماوي .

صور للمجموعات الشمسية

التقط مرصد ولسن في السنوات الأخيرة عدة صور لبعض المجموعات الشمسية تعتبر من أدق الصور التي سجلت حتى الآن . ولأن بعض هذه المجموعات تبعد عن الأرض ٣٠٠ بليون بليون ميل فان التقاط صورها احتاج إلى فتح عدسة آلة التصوير مدة ٧٥ ليلة . لوحظ أثناءها ان حركة الآلة تتمشى بالدقة مع الأشعة المقبلة من المجموعات الشمسية

وكان الغرض من تسجيل هذه الصور اكتشاف التغيير الذي يحدث في الألوان المنعكسة من المخروطات الزجاجية . ولهذا كان من الضروري جداً ملاحظة دقة التصوير ووضوح الصور ففتحت العدسة ١ إلى ٣٠ من البوصة أي أصغر من رأس الدبوس

التنبؤ بالمرض قبل حدوثه

سجلت معامل ديبونت بأميركا جهازاً لتسجيل أصوات القلب سهل الحمل يتاح بواسطته الكشف عن الأمراض التي قد تصيب الانسان قبل حدوثها بمدة طويلة وذلك عن طريق التغييرات التي تنتاب الدورة الدموية . وهذه الآلة الكهربائية ترسل علامات الاضطراب في الدورة الدموية : فقبل أن يشعر الانسان بأي تعب يستطيع هذا الجهاز ان يبين المرض الذي سيصاب به وهذه الأصوات دقيقة جداً لا تستطيع أجهزة ضغط الدم المعروفة تسجيلها. ويتكوّن هذا الجهاز من ميكروفون يثبت الى صدر الانسان وقرص قياس مدرّج أو شريط حسّاس يسجل الجهاز على أحدهما حركات القلب

الشيكولاتة أحسن وسط للفيتامينات

تهتم مصانع الشيكولاتة باعداد قوالب خاصة منها لعلاج الأطفال في اوربا المحررة من أمراض سوء التغذية ، فبعد عدة أبحاث طبية وكيماوية وجد العلماء ان زبدة الكاكاو هي أحسن وسط تعيش فيه الفيتامينات محتفظة بموادها الضرورية لاعادة الصحة والنشاط لمن فقدوهما نتيجة لسوء التغذية المستمر . وقالب زنته أوقية واحدة من هذه الشيكولاته مزوّد بفيتامينات (ا) و (ب ١) و (حـ) و (ى) يكفي لتزويد الطفل يوماً كاملاً بكل حاجته من الغذاء .

وجرّبت هذه الشكولاتة في اطفال جزيرة مالطة ممن تتراوح أعمارهم بين ٧ سنوات و ١٤ سنة ممن قاسوا سوء التغذية فترةً طويلة اثناء حصارها فكانت النتائج باهرة . وعلى هذا الأساس توزّع القوات المتحالفة كميات كبيرة من الشيكولاتة على البلدان التي تحررها من اوربا

غلام يخترع طائرة

اخترع شاب اميركي في التاسعة عشرة من عمره طرازاً جديداً من الطائرات التي تهبط وترتفع عمودياً وليس لها ذيل . ولها محركان فوقها، ويدوران في اتجاهين متضادين، وطول الطائرة ١٢ قدماً ، وطول كل من المحركين ٢٥ قدماً . وقد بدأ هذا الشاب في وضع تصميمها عند ما كان غلاماً عمره ١٦ سنة فقط .

ويقول بعض اخصائيي الطيران أنها قد تصبح طائرة المستقبل

لكشف عيوب المعادن

سجل أحد المخترعين آلة للكشف عن عيوب المعادن بالموجات الصوتية ، فعند ما تختبر هذه الآلة قطعة من الصلب مثلاً فانها تطلق موجتها التي ان صادفت عيباً ارتدت وسجلت الآلة وقت رجوعها . وبه يحدد موضع العيب .

وتختبر هذه الآلة قطعة من المعدن طولها ١٠ أقدام في ثانية واحدة

القراءة في الظلام

يستطيع البحارة وقادة الجيوش قراءة خرطهم في الظلام الدامس ، فقد اكتشف الكيماويون مادة مضيئة ان أضيفت إلى حبر الطباعة أرسلت الكلمات المطبوعة شعاعاً في الظلام ، وان أضيفت هذه المادة إلى مواد صناعة الورق أضيئت صفحاته . وفي كلتي الحالتين تسهل القراءة وهو مايتبع في ميادين القتال وأثناء سير السفن في الظلام

سيارات ما بعد الحرب

صنعت إحدى شركات السيارات سيارة تسع لركوب ثلاثة أشخاص وهي تزن ٤٥٠ كيلو، ومصنوعة من الألومينيوم والمنجنيز والدورالميوم ، ويكفيها جالون واحد من البنزين لقطع مسافة ٤٠ ميلاً ومحركاتها مجهزة بآلتي تبريد هوائي .

ثلاث عمليات دفعة واحدة

يستعمل بعض المزارعين الاميركيين آلة تحرث وتعزق وتمهد الارض في عملية واحدة ويغوص سلاحها في الأرض ست بوصات

مكواة آلية

افتنت مصانع المكاوي في تصميم نوع جديد من المكاوي الكهربائية ، فصنعت مكواة ملابس انسيابية الشكل ، لا تحتاج لتشغيلها الى رفعها من مكانها فانها دائماً ترتكز على أحد طرفيها، وما عليك إلاّ دفعها الى الاتجاه الذي تريده .

فناجين الشاي من العجائن

صنعت فناجين الشاي وأطباقه من العجائن (الباغة) فأثبتت انها أصلح من مثيلتها من الصيني لأنها ليست سهلة الكسر كما انها تحتفظ بشكلها الظريف مدة طويلة

قارب لا يغرق

ظلَّ رجال البحرية البريطانية سنتين يحاولون اغراق أحد قوارب النجاة التي اخترعها أحد المهندسين ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح . فان ملأه بماء البحر وحده لا يكفي لاغراقه. فجرَّبوا تحميله بأثقال كثيرة هبطت به إلى قاع البحيرة، فلما أزيلت الأثقال طفى القارب إلى سطح الماء مرة أخرى. أما مادة هذا القارب فمن الاسرار العسكرية

أنابيب ماء من الغاب

استعيض في الصين عن أنابيب الماء المعدنية بأنابيب من غاب البامبو فاستطاعت القوات الأميركية مد أنابيب ماء طولها ٦٠٠ قدم في مقاطعة يونان في الصين . فقد لاحظ الأميركيون ان هذا النوع من الغاب ينمو بكثرة في تلك الجهات وانه صالح لهذه العملية فأعدوه لهذا الغرض ، وأنشأوا منه أول خط مائي لمد القوات العسكرية بالماء اللازم لها من الينابيع . وبذلك وفروا ما زنته ٦٧٨ رطل من الأنابيب المعدنية فضلاً عن نفقات صنعها ونقلها

ماء عذب من البحر الملح

اذا غرقت سفينة ولجأ بحارتها ومسافروها الى قوارب الانقاذ فانهم يستطيعون الحصول على ماء عذب من ماء البحر الملح . وذلك بأن يغمروا قطعة من القماش في مائه ثم يضعونها تحت غطاء لا ينفذ منه البخار ومرتفع عنها قليلاً . فان الماء العالق بقطعة القماش سيتبخر بفعل حرارة الشمس ثم يتكثف على شكل نقط ماء تسيل إلى حافة الغطاء المصنوعة على شكل أنابيب تجمعها في أي أناء ليشربه الناس الى أن يأتيهم الفرج

التليفزيون في المستقبل

صممت احدى شركات الاذاعة اللاسلكية جهازاً صغيراً لنشره بعد الحرب وهو عبارة عن راديو مصوَّر (تليفيزيون). وليس من الضروري أن تجلس بجوار الجهاز اثناء الاذاعة فانه يسجلها بطريقة آلية على سلك دقيق من الصلب تستطيع استعادة سماعها في أي وقت تشاء

الاذاعة وأوجه القمر

أعلن أخيراً ان نقاء الأصوات ووضوحها في أجهزة الاذاعة له صلة باختلاف أوجه القمر فتتحسن من التربيع الأول الى ما قبل البدر الكامل بقليل ، ومن التربيع الأخير إلى ما قبل ظهور الهلال بأيام .

فوزي الشتوي

فهرس الجزء الاول

من المجلد السابع بعد المائة

١ مجلس الاقتصاد والاجتماع في الهيئة العالمية الجديدة : فؤاد صروف
٨ قواعد النظام المالي : فؤاد محمد شبل
١٦ افتونا
١٧ وعلم آدم الأسماء : دكتور توفيق صادق سليط ٢٠ حمى الحمام
٢١ الاتحاد القومي : ادوار مرقص ٢٤ من حكمة التأمل : أحمد لطفي السيد باشا
٢٥ المساء (قصيدة) : عدنان مردم بك
٢٦ نشأة سيادة مصر على البحار : ابراهيم ابراهيم يوسف ٣٢ اقطع العصب
٣٣ عين زبيدة في مكة : عثمان رفقي رستم ٣٧ عين الطبيعة
٣٨ حق غريق في بحر من الباطل : منصور رجب
٤١ الرأي العام الاجتماعي وكيف نكوّنه في مصر : سلامه موسى
٥٠ جنة الشوك
٥٦ كيف تحفظ صحتك — الماء : فهمي عطا الله
٥٧ القلب وأمراضه : دكتور عبده رزق
٦٤ الأحلام والروح : نقولا الحداد
٦٧ الى الوراء : حبيب الزحلاوي ٧١ البنسيلين واحتقان الزور
٧٢ من أنواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك

٧٥ مكتبة المقتطف * فلسفة الاخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية : عبد السلام محمد هارون. الشرع واللغة : محمد يوسف موسى . مشكلة البطالة . أسرار المراهقة في الفتاة . الانجليز كما عرفتهم . القومية والعروبة . ساعات الصمت . الاسرة والمجتمع . نساء عاشقات . البلاغة العصرية واللغة العربية . الشوق العائد . الحرية . الصهيونية . روح التربية والتعليم . الرحالة المسلمون في العصور الوسطى . التعليم في رأي القابسي ذكرى الافغاني في العراق . مرايا الناس . البيادر . توفيق الحكيم في تلك الايام عاش المعري . مشكلة الفلاح . الروائع لشعراء الجيل

٨٢ باب الاخبار العلمية * البنسلين . عودة الى دولاب الخزاف : وديع فلسطين . دراسة الفيرس . مكروسكوب يكبر ٥٠ الف ضعف . صور للمجموعات الشمسية . التنبؤ بالمرض قبل حدوثه . الشيكولاته أحسن وسط للفيتامينات . غلام يخترع طائرة . لكشف عيوب المعادن . القراءة في الظلام . سيارات ما بعد الحرب . ثلاث عمليات مرة واحدة . مكواة آلية . فناجين الشاي من العجائن . قارب لا يغرق . أنابيب ماء من الغاب . ماء عذب من البحر الملح . التليفزيون في المستقبل . الاذاعة وأوجه القمر : فوزي الشتوي